

فلاسفة العرب

٢

أبو العلاء المعري

دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)
ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان

مجموعة منوّعة من منشوراتنا اللغوية والفلسفية

معاجم :

المنجد في اللغة والادب والعلوم
(الطبعة التاسعة عشرة معاد النظر فيها ومزيد عليها)

المنجد الأبجدي
(على الطريقة الابجدية الكاملة)

منجد الطلاب
(طبعة جديدة منقحة ومزيد عليها)

المنجد المصوّر
(١٨٦ كلمة مشروحة مع ٣٢ لوحة ملونة)

كتب فلسفية :

ابن رشد ، كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال
قدم له وعلق عليه الدكتور البير نصري نادر

الامام أبو حامد الغزالي ، تهافت الفلاسفة
عن النص الذي اتبعه الأب بويج . قدم له ماجد فخري

ابو نصر الفارابي ، كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين
قدم له وحققه الدكتور البير نصري نادر

ابو نصر الفارابي ، كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة
قدم له وحققه الدكتور البير نصري نادر

ابو نصر الفارابي ، كتاب السياسة المدنية
حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور فوزي متري نجار

كتاب اثبات النبوات لأبي يعقوب السجستاني
تحقيق عارف تامر

كتاب الإيضاح لشهاب الدين أبي فراس
تحقيق وتقديم عارف تامر

دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) – ص. ب. ٩٤٦ – بيروت (لبنان)

يوحنا قمير

أبو العلاء المعرّي

في لزوميّاته

دراسة - شعر مختار

طبعة رابعة منقّحة

دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)
ص.ب: ٩٤٦، بيروت - لبنان

التوزيع : **المكتبة الشرقية** ، ساحة النجمة ، ص. ب. ١٩٨٦ ، بيروت ، لبنان

باطل الاباطيل ، كل شيء باطل .

ايّ فائدة للبشر من جميع تعبهم الذي يعانونه تحت الشمس ؟...

كلّ ما ابتغته عيناي لم ادعه يفوتهما ، ولا منعت قلبي من الفرح شيئاً ، بل فرح قلبي بكل تعبي ، وكنت احسب ان ذلك حظي من تعبي كله . ثم التفتّ الى جميع اعمالي التي عملت يداي ، والى ما عانيت من التعب في عملها ، فاذا الجميع باطل وكآبة الروح ، ولا فائدة في شيء تحت الشمس .

« سفر الجامعة »

الولادة عذاب ، والشيخوخة عذاب .

المرض عذاب ، والموت عذاب .

عذاب ان يرتبط الانسان بمن لا يحب ، وعذاب ان ينفصل عمن يحب .

عذاب الأ ينال الانسان ما يشتهي ، وعذاب ان يشتهي ...

من ادرك هذا ، ايها الرهبان ، وكان حكيماً ، وواعياً لكلمة الحق ، يتحول عن المحسوسات ، واذ يتحول عنها ينعتق من ربقة الشهوات ، وبانعتاقه من ربقة الشهوات ينال الخلاص.

. . . .

ما تظنون الاكثر ، ايها التلاميذ ، أماء المحيطات الاربعة ام ما سكبتموه من دموع ؟ ...

« غوتاما بوذا »

عندما اقول بان اللذة غاية الحياة ، لست اعني لذاذات الشرهين ، او شهوات الدنس ... بل السلامة من كل الم جسدي ، وكل قلق في الروح .

يكفي الحكيم قليل من الخبز والماء ليجاري الآلهة هناء .

هذا اليوم ... آخر ايام حياتي ، وهو ايضاً يوم سعيد .

« ابيقورس »

لست اشتهي ان اكون صانع هذا العالم: منظر هذا العالم يفتت كبدي !
« شوبنهور »

ستظلين الى آخر ايامي كحجر الرحى في عنقي . « تولستوي الى امرأته »

النساء موسيقى الحياة . « فجنر »

المرأة الجميلة العارية من الفهم خرص من ذهب في انف خنزيرة .
« سفر الامثال »

المرأة ، في نظري ، انبل من الرجل . فيها يتجسد التفاني ، والالم الصامت ، والايمان ، والمعرفة . وحدسها ، اكثر الاحيان ، اصدق من ادعاء الرجل الذي يزعم لنفسه معرفة اسمى .
وعلى الرجل اذاً ان يحترم المرأة ، ان يكفَّ عن النظر اليها كاداة لذة .
« غاندي »

الوردة الآدمية : زهرة الورد لها اكمام وارج ، ولها ايضاً اشواك حادة . فما لجماعة الرجال يقيمون الدنيا ويقعدونها كلما بدر من المرأة ما يخز ويغمز الجلد !
« امين نخله »

الوحيد كالفلكي : عيناه آهلتان بالنجوم . « هابيل بونار »

ان رجلاً حانقاً لافضل من خنزير راض . « ستيارت ميل »

ليست السعادة في ما نملك ، بل في ما لنا عنه غنى .
« موريس بلوندال »

كان ابو العلاء اعمى بين مبصرين ، ومبصرًا بين عميان ، وقد قادته هذه الحالة الى الوحدة ، فالتشويش ، فالكآبة ، فالشك ، فالتمرد .
ان شئت ان ترى المرأة حقيقة ، فتأملها وعيناك مغمضتان . « جبران »

نبذته ضوضاء الحيـا ةِ ، فمال عنهـا وانفردْ
وغــدا جماداً لا يحـ نّ ولا يميل الى احد . « نعيمه »



ابو العلاء المعري

بريشة جبران خليل جبران

تمهيد

قيل: «الحياة معزف ذو سبعة اوتار، ستة منها للالم وسابع للسرور». اما اذا قُدِّر لحياة ان تكون كل اوتارها للالم، فهي حياة غريبة، وصاحبها بين الناس غريب. ولعل هذه الغربة — او الغرابة — هي ما اغوانا في درس اعمى المعرة[١]، احمد بن عبدالله، ابن سليمان، بن محمد... الملقب بابي العلاء (٣٦٣–٤٤٩ هـ.) (٩٧٣–١٠٥٧).

لهذا الاعمى شخصية متعددة النواحي، غنية المظاهر. فانت يمكنك ان تدرس مهارته اللغوية وتعمّده التكلّف والغريب، أو ان تدقق في الملاحظة فترى ما في «رسالة الغفران»[٢] من سخرية وكفر، او ان تطالع ديوانه «الدرعيات» وهمّك ان ترى حظه من التقليد في وصف الدروع، او ان تتذوق فنونه الشعرية في «سَقْط الزَنْد» وتقف طويلاً في تذوق رثائه لابي حمزة. انما كل هذا لن يطلعك الا الى حد على خفايا هذه النفس، وآلام هذا القلب، ولن تظفر بسر هذه الحياة بما فيها من شعور وتفكير، الا اذا درست «اللزوميات»[٣].

---

١) المعرة: مدينة من اعمال حلب، ولد فيها ابو العلاء، وفيها مات وقبر.

٢) رسالة الغفران: كتبها ابو العلاء اثناء عزلته، سنة ٤٢٤ هـ. = ١٠٣٢، والرسالة ظاهرها طواف في الجنة والجحيم، ورواية لما يعتقده المسلمون فيهما، وباطنها سخرية بهذا الاعتقاد، وتهكم لاذع.

٣) في اللزوميات التزم ابو العلاء ما لا يلزم، التزم حرفي رويّ في القافية بدل حرف واحد، ومن هنا كان اسمها.

واللزوميات ، اهم آثار ابي العلاء واصدقها تصويراً له ، هي بعد فن جديد في الفكر العربي ، فن الشعر الفلسفي . على ان هذه الفلسفة لم تُقصد لذاتها ، ولم تُدرَّس بتفصيل في المواضيع وتسلسل في الافكار ، فتؤلف مذهباً متماسك الاجزاء ، متناسق الخطوط ، انما هي صدى حالات نفسية انتابت صاحبها ، فكونت فلسفة اصطبغت بالشعر ، وكثرت فيها المراجعات ، وفُقِد التأليف[1] . لهذا نحن نمسخ فكرة ابي العلاء ، اذا حللنا اللزوميات ككتاب فلسفي عادي ، وفصّلناها الى اقسام الفلسفة العربية العادية ، لانها قبل كل شيء صدى روح فكّرت كثيراً ، وشعرت كثيراً ، وشقيت كثيراً .

وهذه الناحية هي التي قصدنا اليها جهدنا ، مظهرين ما بين اللزوميات والحياة من صلة ، مؤيدين آراءنا بنصوص مختارة ، تساعد القارئ على فهم هذا الدرس ، وتمكّن عامة المفكرين من الاطّلاع على زبدة كتاب ، لا يزال محصوراً على بعض الخواص .

---

١) ما اتبع ابو العلاء ، في نظمه اللزوميات ، ترتيب حروف الروي مبتدئاً بالهمزة ومنتهياً بالياء ، بل نظمها بوحي الحالة الطارئة فكرة وقافية ، ثم جمع ورتب . يؤيد هذا ما جاء في مقدمة اللزوميات حيث يقول الشاعر : « وانما وصفت اشياء من العظة ، وافانين على ما تسمح به الغريزة ... ، وجمعت ذلك كله في كتاب سميته لزوم ما لا يلزم . » وفي اللزوميات كذلك ابيات يذكر فيها عمره ، فاذا هو في ابيات متقدمة من الكتاب اكبر منه في ابيات متأخرة ، فقد جاء ، مثلاً ، في حرف الراء :

اذا كنت قد جاوزت خمسين حجة ولم الق خيراً فالمنية لي سترُ

وجاء في حرف العين ، وهو متأخر عن حرف الراء :

شربت سنيَّ الاربعين تجرّعاً فيا مقرا ما شربه فيَّ ناجع

ونرى من باب المستحيل ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً .

الليل العلائي

في وحدة الليل الموحش ، جلس ابو العلاء . انه عائد من سفر اسرع في العودة واسرع ، ليدرك اماً مريضة وينقذ قلباً عطوفاً ، القلبَ الوحيد الذي لا يزال يثق بعطفه ، ولكن فاته ما رجا ، وسلبته يد الدهر الام ، وعطف الام . ويهزّ قلبه ، هذا الليل ، مزيج غريب من الحزن والحنق واليأس : هذا العائد الى بيته الخالي مثقَل بهموم الحياة ، حانق على ابناء البشر ، حائر باسرار الوجود ، اوهى من ان يحمل مصابه الجديد .

١ — عماه

كان لا يزال في الرابعة من عمره ، عندما أصيب بالجدَري فناله منه تشويه الوجه وعمى العينين ، او قل فقد الجمال والتمتع بالجمال .

كم مرة الى الآن سمع الناس يتحدّثون عن غواية خط ، او سحر لون ، فشاقه ان يرى ، وصدّه عماه ، فاذا هي غصّة وراء محجرية يغذّيها مع السنين لون احمر ضئيل ، هو كل ما وعته الذاكرة من عهد النور .

وكم مرة الى الآن جالس الناس ، فصادف منهم اعراضاً ، او استثقل ظلّه ، فاقام كالغريب بين طائفة المبصرين ، لا يلقى منهم عطفاً ولا يطيق عنهم بعداً .

ولا تخدعنّ بتظاهره بالرضى ، وترديده احياناً : « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » ، فان هذا من باب الكبرياء ، واصدق منه ابيات يشكو فيها اعمق الشكوى فيقول ، مثلاً :

ولطالما صابرتُ ليلاً عاتماً فمتى يكون الصبح والاسفار؟!

٢ – تعلّم ورحلات

تعلّم هذا الصبيّ على ابيه لغةً وادباً ، حتى اذا شبّ سافر الى حواضر الشام ، فاقتبس العلم في حلب ، وزار انطاكية ، واتى اللاذقية. وفي هذه المدينة رأى شجاراً بين الاديان ايقظه من سبات التقليد ، وزرع فيه اولى بذور الشك في الاديان ، فقال ابياته المأثورة :

في اللاذقيــة فتنــةٌ ما بين احمــد والمسيحْ
قسٌ يعالــج دلبــةً والشيخ من حنقٍ يصيحْ
كلٌ يعزّزُ دينــه ياليت شعري ما الصحيح؟!

٣ – موت ابيه

وعاد ابو العلاء الشاب الى المعرّة ، واقام فيها زمناً ، يجالس اهل العلم ، ويُنضج جنى المعرفة .

ومات ابوه[١] ، فكان هذا الموت فراغاً قاسياً في روحه الحساسة ، فتألم ورثا :

ونادبةٌ في مسمعي كلُّ قينةٍ تغرّد باللحن البريء من اللحن.

---

١) اختلف في تاريخ هذا الموت ، فنهم من استند الى معجم الادباء لياقوت ، فجعله سنة ٣٧٧ ﻫ ، وتعجب كيف ان ابا العلاء استطاع ، في الرابعة عشرة من عمره ، ان يرثي اباه بقصيدة جمعت بين غرابة اللفظ ومتانته ، وبدا النضج وبوادر الشك في مثل هذين البيتين :

طلبت يقيناً ، يا جهينة ، عنهم ولم تخبريني ، يا جهين ، سوى الظنّ
فان تعهديني لا ازال مسائلاً فاني لم اعط الصحيح فاستغني!

ومنهم من استند الى كتاب الانصاف والتحرّي لابن العديم ، فعين سنة ٣٩٥ ﻫ. تاريخ وفاة والد المعري ، وهو تاريخ يجعل الشاعر في الثانية والثلاثين من عمره ، ويجعل رثاءه امراً مألوفاً . وهذا الرأي احق بالتصديق .

٤ — فقير في بغداد

ومضت فترة من الزمن ، فاذا ابو العلاء يغادر المعرة الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ. = ١٠٠٧ .

قال ابو العلاء في اسباب سفره الى حاضرة الاسلام الكبرى ، بعد ان عاد منها : « احلف ما سافرت استكثر النشب[١] ، ولا استكثر بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الاقامة بدار العلم ، فشاهدت انفس مكانٍ لم يُسعف الزمن باقامةٍ فيه . » واذاً هو ما طمع في جمع ثروة ، ولا بغى استزادة علم ، وقنع من المال بما يسعف معه الزمن باقامة .

ولكن هذا المال نفسه هو الذي عازه ، فاحال عليه البقاء في دار العلم ، وانفس مكان !

نفد ما حمله معه من مال ، وأبى ذلّ السؤال والتكسب بالمدح ، وجود الضيوف ما كفاه ، او كلّفه فوق ما يُطيق[٢] ، فاذا الغربة تقترن بالاقلال .

اشار الى ذلك ، في مسقط الزند :

فاذهل اني بالعراق على شفا رزيُّ الاماني ، لا انيسٌ ولا مالُ
مقلّ من الاهلين : يسرٍ واسرةٍ ! كفى حزناً بينٌ مشتٌّ واقلالُ

---

١) النشب : المال .

٢) اضافه الشريف المرتضى في داره . وحدث ان قام جدل حول شعر المتنبي ، الشريف المرتضى يحط منه ، وابو العلاء يرفع ، الى ان نسي هذا حرمة الضيافة ، فقال : يكفي المتني قصيدته :

لك ، يا منازل ، في القلوب منازل اقفرت انت ، وهنّ منك اواهل

وفي القصيدة هذا البيت :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

ففهم المرتضى التعريض ، وامر باخراج ابي العلاء ، فأخرج مسحوباً برجله !

واشار ، في قصيدة ودّع بها بغداد ، الى تعلقه باهلها ، ورغبته في الاقامة فيها ، وتوقه الى العودة اليها ، وحؤول فقره دون العيش في عاصمة الغلاء ، والتمتع بما للعلم فيها من اجواء :

اودّعكم، يا اهلَ بغداد، والحشى على زفراتٍ ما يَنِينَ من اللذعِ
اظنّ الليالي ، وهي خونٌ غوادرٌ، بردّي الى بغداد ضيّقةَ الذرعِ
وكان اختياري ان اموت لديكم حميدًا ، فما الفيتُ ذلك في الوسعِ

هو الفقر والغربة ، وهو خبر وافاه بمرض امه ، واذا به يغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ. ويعود الى المعرة وطنه . عاد ، ولكن امه ماتت قبل ان يصل .

٥ — موت امه

وموت هذه الوالدة ، التي ترك لاجلها بغداد ، ورجاها فلم يلقَها ، كان امرّ جرعة من كاس الهموم التي اعدتها الحياة لهذا القلب الكسير . الا تأمله في هذه الدار الخالية ، آخر سنة اربعمائة ، يفكّر بامٍ حملته جنيناً ، وارضعته طفلاً ، ويستحضر بلمحة وداعها الاخير له ، ولهفتها على فراقه ، فيغصّ ويضطرب ، ويبكيها بين يدي الليل بكاء الغريب الوحيد :

فان ينقطع منكِ الرجاء فانه سيبقى عليكِ الحزن ما بقي الدهرُ !

•

وكان الظلام وحدَه يعي ذاك النحيب .

•

ويطول الليل على هذا الوحيد الباكي ، لا يستطيع عزاء او نوماً .

ويتيه به الفكر من دائرة بيته الضيق الى مسرح العالم الفسيح، ومن مصائب حياته الخاصة الى مصائب الناس اجمعين ، فتمر امامه مشاهد من حياة الافراد والجماعات ، كلها سوداء قاتمة كسواد ليله القاتم .

ا – اين الخير ؟

لقد فسد الانسان ، ففسدت كل مظاهر حياته : ساء حكّامه، وضلّت اديانه ، وغلب شرّه ، وجنت نساؤه :

١ – فساد الطبع :

صيغ الانسان من وسخ ، وجبل من غشّ ، طبعه متغلب على عقله ، وهواه على صلاحه . الشرّ في الجدّ القديم ، وكلّنا ابن لئيمة ، ومدح الناس لا يغسل الانجاس :

جسميَ انجاسٌ فما سرّني ... اني بمسكِ القول ضمّختُ
من وسخٍ صاغ الفتى ربُّه ... فلا يقولنّ توسّخت!

٢ – فساد السياسة :

والحياة السياسية تفكّك ، وفوضى ، وظلم .

تفككت الامبراطورية ، فاذا الامة الاسلامية دولٌ مبدّدة ، واوضاع واهية .

الشام ، موطنُ المعرّي ، يغزوها الروم ، ويطمع فيها فاطميو مصر . وقد توصل هؤلاء الفاطميون الى عزل ابي الفضائل ، حفيد

سيف الدولة ، على يد غلامه لؤلؤ ، فاصبح العبد سيداً ، وقويت شوكة الشيعة .

والعراق حكمها بنو بويه ، واصبح الخليفة آلةً في ايديهم ، يتركون له الاسم ، ويمارسون السلطان .

ووهى السلطان السياسي ، فاضطرب حبل الأمن ، وعمّت الفوضى :

ان العراق وان الشام مذ زمنٍ صفرانِ بما بهما للملك سلطانُ

وطغى حب اللهو على الحكام ، فارهقوا الناس بالمكوس ينفقونها في عزف وسكر ، واهملوا شؤون الرعية ، وعبثوا بمصالحها :

مُلَّ المقام ، فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعيّة ، واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها ، وهم اجراؤها

٣ – فساد الدين والخلق :

والحياة الدينية والخلقية خلاف وضلال ، رياء وفساد .

الدين تقليد موروث ، يعتنقه الابنـــاء دون ان يحكّموا فيه عقلاً ، او يرفضوا خطأ ، وكأنهم على يقين . وهم بعد لم يطمئنوا الى دين واحد . فاذا لكل مصر دين ، وفي كل دين مذاهب ، تختارها العقول مدفوعة بنزعاتها الخاصة ورغائبها الدنيوية . فنحن اذا نظرنا الى الاسلام وحده رأيناه فقهاء في جدال ، ومتكلمين في خصام ، ورواة حديث في ارتباك ، ومتصوفين يخدعون الناس ، ورأيناه يكفّر باقي الاديان وتكفّره ، ويضلّلها وتضلّله :

دين وكفر وانباء تقص وفر قان ينص وتوراة وانجيــلُ
في كل جيل اباطيل يدان بهـــا فهل تفرد يوماً بالهدى جيلُ ؟

والناس مع ذلك لم يرعوا حق دين، ولم يرتدعوا بنهي نبي ، وهم الى ذاك مراؤون يدّعون الفضيلة ويعظون الخير . ناسكهم غير تقيّ ، وعابدهم شهوة مقنعة ، ورجال دينهم هواة مجدٍ ومال ، وكلهم عن فرائضهم غافلون ،

فلا زكاةٌ ولا صيـام ولا صلاةٌ ولا طَهورُ

بار فيهم الدين فبارت اخلاقهم :

اقوياؤهم ظالمون ، يعتدون على الضعفاء ، ويتنازعون خيرات الدنيا تنازعَ كلابٍ جيفة .

وضعفاؤهم منافقون ، ينافقون القوي ، وينافقون الصديق ، عازتهم القوة فعمدوا الى الكذب والحيلة .

وكلهم حسد وبغض ، لا يريدون لغيرهم خيراً ، او يتخلّون له عن خير ،

افضل من افضلهم صخرةٌ لا تظلم النـاس ولا تكذبُ !

٤ ــ فساد المرأة :

والمرأة شرّ البشر .

حبتها الطبيعة حسناً فما قنعت به ، تخضّبت وتضمّخت ، خطرت بلباس وازدهت بحلى ، فاذا هي فتنة تسعى :

لم يكفها نور خدّيها، ونور نقاً في ثغرها، فاصارت عَشرَها عَنَما[1]
كانت اضرّ لأهل النسك من صنمٍ فليبعدِ اللهُ تلك الخـود والصنما !

وهي لا تتحصّن ، ولا تصدّ ، بل هي اغراء صارخ ، ولهو

---

١) نقا : عظم : اي اسنانها . عشرها : اناملها العشر . عنما : شجرة حمراء الثمر شبه بها الانامل المخضوبة .

مشاع . الى الحمامات ترفل باكمامها ، وفي الاعراس تزهو كالطاووس. الحج فرصة لعرض الجمال ، والمعابد اماكن مواعيد . لا تمنع رضابها فتىً ، وابن عشرٍ منها في خطر ، والخليل احظى من الحليل .

وان تزوج المرأة تضفْ عناء الى فساد . انها ترهق الشاب باكلها وحلاها ، وتملّ حديث الشيخ راجيةً في النفس حتفه . تلد البنين فيعقّون، ويُثكلون . وتلد البنات فلا ينفعن في حرب ، وقد يتأيّمن ويُسبين . وما اتعس الرجل ان اهاج غيرة المرأة باخرى ، وما اشقاهما معاً ان هو عدّد الضرائر . الخير للرجل الاّ يتزوج ، وان تزوج الاّ يلد .

وخير للفتاة ان تلزم البيت ، وان تغزل وتنسج . ما لها وللعلم تزيد به اذاها ، وتُفقد من يعلّمها لبَّه ، وتجهد عقلها الضعيف ؟ اما الصلاة فلتلقن تلاوتها على عجوز ، ولتدرس آيها على كهل ضرير .

المرأة في ذاتها مغرية ، وفي المجتمع مفسدة ، وفي الاسرة متعبة ، وفي العالم اداة نسل وشقاء .

فاحبس المرأة عن المجتمع تخفف فساده ، ولا تتخذها زوجاً تخفف عناءك وتقضِ على النسل والشقاء :

بدء السعادة ان لم تخلقِ امرأة !

ب — اين السعادة ؟

والناس بعد ، على تحررهم من كل قيد ، واغراقهم في اشباع الشهوة ، لم ينجوا من قيود الحياة ، ولم يخففوا من شقائها .

لقد اتوها كارهين ، ويكابدونها حانقين ، لما تكلّفهم من عناء البقاء ، وعناء السعي لحفظه . اليس عناءً كبيراً هذا الجد اليومي

لكسب الاكل واللباس ؟ اليس همّاً مضنياً هذا الخطر الدائم على سلامة البدن ودوام الصحة ؟ ألا نعاني مدى الحياة آلاماً مبرحة من عضو يُشلّ ، او نظر يكفّ ، او مرض يدهم ؟ أو ليس أبو العلاء نفسه اقوى الناس شعورًا بحاجة القوت والكساء ، وجناية المرض على الجسد ؟

وليست حاجات البقاء مصدر آلامنا الكبرى ، بل هناك حاجات اكثر الحاحاً ، واشد ايلاماً : ان في اعماقنا طموحاً دائماً الى الافضل ، واملاً لا حد له بتحقيقه ، هما ينبوعا شقائنا الاعظم . يتوق الانسان ابدًا الى السلطة والمجد ، الى الغنى والنعيم ، الى الحب واللذة ، فاذا السلطة ظل ثقيل على الناس يتملصون منه ما قدروا ، واذا الغنى حظ مقدور وحسد مجلوب ، واذا الحب نفاق صديق او خيانة زوج ، واذا الانسان يلاقي ابدًا مرارة الاخفاق وعناء الجهد ، وكأن ادراكه السعادة ، كادراكه الحق والفضيلة ، وهم من اوهامه الكبرى .

ج – اين الحق ؟

واذا كان هذا هو الانسان ، حكمه ظلم او فوضى ، ودينه تعدّد وتقليد ، وخيره رياء ، وحياته شقاء ، فما الغاية من وجوده ، وما القصد من خلقه ؟

١ – وجود الله :

انه لا ريب في وجود اله قادر حكيم ، ابدع هذا العالم ، ونظّم ارضه وسماءه ، فاتى آيةً في الجمال ، ولساناً ناطقاً بملكه :

فالهلالُ المنيفُ ، والبدر ، والفر قدُ والصبحُ ، والثرى ، والماءُ
والثريّا والشمسُ والنار والنثْرة[1] والارض والضحى والسماءُ
هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماءُ

وقد يستنتج المعرّي وجود الله من ندامة الملحد ساعة الموت :

اذا كنتَ من فرط السفاه معطّلاً فيا جاحد اشهد انني غير جاحد
فاني رأيت الملحدين تعودهم ندامتهم عند الاكفّ اللواحد!

٢ ـ عنايته :

ولكن كيف يكون الله قادرًا حكيماً ويخلق هذا الانسان يعيث في ارضه فساداً ، ويلقى من الالم اهوالا ، لا الاحياء يأمنون شره ، ولا هو يأمن الاذى؟ لقد اختلق الناس وعلّلوا ، ولكنهم ما اتوا بيقين او ادركوا سرّ عناية :

يخبّرونك عن رب العلى كذباً وما درى بشؤون الله انسان!

لا نعلم لماذا اتينا هذا الوجود ، ولا نعلم هل لنا بعد حياتنا الدنيا وجود .

٣ ـ مصير النفس :

ان الناس قد اختلفوا في امر النفس ، بعضهم قال بالخلود ، وبعضهم انكر وساوانا بالنبات مصيراً .

ودان اناس بالجزاء وكونه وقال رجال : انما انتم بقلُ

وعقلُ ابي العلاء متردد تردد َ الناس :

مرةً تسمعه يقول بفناء النفس ، فيجعل منها قبساً يطفئه الردى ، او انفاساً تفنى بالزفير ، او ناراً تخمد بالموت :

١) نثرة الاسد : كوكبان بينهما قدر شبر .

وجسمي شمعـــة والنفس نار   اذا حان الردى خمدت بـــاف ٍّ!

ومرات يدبّ اليه الورع ، ويخشى مغبّة الرأي ، ويقلقه ندم الجاني ساعة الموت ، فيتكلم كلام مؤمنٍ بالبقاء والجزاء :

وهي الحيـــاة فعفة او فتنةٌ   ثم الممات فجنّـــة او نـــار

ومراتٍ اخرى ، تتقابل اسباب الفناء والبقاء ، تتقابل ولا ترجح كفة ، فيتّساءل تساؤل العاجز الحائر :

ارواحنا معنا وليس لنا بها علم   فكيف اذا حوتهـــا الاقبر؟!

٤ ــ بعث الأجساد :

والامر في بعث الاجساد ادعى الى الريب ، وابعث الى التّردد . اجل ان الله قادر على كل شيء ، قادر على جمع الجسم واحيائه ، ولكن هل يكلّف نفسه جمع هباء لعبت به ايدي الرياح ، واي ارضٍ تسع سكان التّراب ان هم بُعثوا احياء :

لو هبّ سكان التّراب من الكرى   أعيا المحلُّ على المقيم الساكن!

٥ ــ الحرية :

ثم ما يحدث لنا ، بعد الموت ، إن تخلد نفوس ، وتُبعث اجساد ؟ هل من جزاء ينتظرنا ، وهل نحن احرار في ما نعمل لنُسأل عن افعالنا ، ويستقيم جزاء؟

ان النّاس اختلفوا رأياً في الحرية ، فمنهم من اثبت ، ومنهم من نفى :

وقيلَ : نفوس المرء تسطيعُ فعلها   وقال رجالٌ : بل تبيّن جبرهـــا

وابو العلاء يميل ميلاً قوياً الى اهل الجبر : أما كانت حياته سلسلة مصائب لم يكن له فيها رأي ؟ ألا يرى الفساد مستبدّاً بالناس، والهوى متغلباً ؟ ألا نولد جبرًا ، ونموت جبرًا ؟ فلمَ لا تكون حياتنا كلها جبرًا ، لا نعمل الا بقضاء ، ولا نتحرك الا بقدر ؟

ما حُرِّكت قدمٌ ، ولا بُسطت يدٌ الا لهـا سبب مـن المقدارِ

على ان ابا العلاء ، على ميله القوى الى الجبر ، لا يجزم جزم اليقين . ذاك ان القول بالجبر يتنافى والقول بالجزاء ، والا كان الله ظالماً غشوماً :

ان كان من فعل الكبائر مجبرًا فعقابـه ظلم عـلى ما يفعلُ

واذا لم تكن مسؤولية ، ولم يكن جزاء ، فالخير والشرّ سيّان ، وليفعل الانسان ما يشاء ! ولكن إن يجرؤ غير ابي العلاء على هذا القول ، فهو لا يطمئن اليه ، ويتورع عن فعل الشر ، ويخشى عقاب الله ، ويمسك عن تأكيد الجبر :

وان سألوا عن مذهبي فهو خشيةٌ من الله ، لا طوقاً ابثّ ، ولاجبرا !

٦ — العقل :

كل هذه مشاكل يقف العقل امامها متردداً حائرًا . وان هذه الحيرة لامر محتوم . انت لا تركن الى غير عقلك في البحث عن الحق ، ولا تثق بنبي او امام . وعقلك هذا عاجز محدود ، لا يرى ما حجب الغيب ، ولا يبصر ما جاوز المحسوس ، فكيف تكلّفه فوق طاقته ، كيف تسأله عن اسرار الله ، وتطالبه بحلّ مشاكـل الآخرة ؟

اذا مرّ اعمى فـارحموه وايقنوا وان لم تكفّوا ، ان كلكم اعمى

وجمد ابو العلاء كالصنم ، وظل جامداً ساعات . وكأن ما يكتنف عناية الله من اسرار ، ويساور مصير الانسان من غموض ، ويلقى العقل في حلّ معضلاته من خيبة ، ظلمة جديدة في عينيه الغائرتين ، وفي قلب هذا الليل الوحيد من ليالي حياته ، وكأنه نفسه قطعة من الشقاء غشيها الفساد ، وغمرها ظلام قصي ...

ثم استولى عليه النعاس لما قاساه من سفر ، والمّ به من حزن ، وعاناه من سهر وقلق ، فاغمض جفنيه ، ونام ، علّ النوم ينجّيه هنيهة من هموم الحياة ، ويلهمه طريق النجاة من شك ، ومن ألم .

الفجر العلائي

مضى الليل ، واطلّ الفجر ، واستفاق ابو العلاء ..

وفي لحظة ، عاودته خواطر الامس ، وتبلورت في مشكلتين ، وبدت له بوادر حلول .

اما المشكلة الاولى فعقلية تتناول صحة الاديان ، ومصير الانسان، وما يتبع ذلك من رأي في الخير ، وسلوك في السيرة . واما المشكلة الثانية فشعورية يتوقف على حلّها الخلاص من شقاء الوجود ، وفساد الناس ، والبلوغ بالعيش الى اهنأ حال :

١ — المشكلة العقلية

اما المشكلة العقلية فقد حلّها ابو العلاء على الوجه التالي :

الاديان

الدين كذب ورياء . حب الكسب اوجده ، وطلب النفع ابقى عليه ، وسلطان التقليد مكّن له في النفوس . ويكفيك لتطرحه ما تجد بين الاديان من تباين ، وفيها من مذاهب ، وفي اعتناقها من تقليد ، ولدى اهلها من نفاق ، وفي قرارة العقل من انكار :

هفتِ الحنيفة، والنصارى ما اهتدت ويهود حارت ، والمجوس مضلّله
اثنانِ اهل الارض ذو عقل بلا دينٍ ، واخر دينّ لا عقل له!

المصير

اما مصيرك بعد الموت فلن تستطيع فيه بتاً. انك ترجّح خلود النفس، ولا تسلم من الريب، وتميل الى انكار البعث دون ان تستبعد امكانه، ويغلب عليك الاعتقاد بالجبر دون ان تطمئن الى مساواة الخير بالشر.

ومهما فكّرت في هذه المشاكل، ستظل متردّداً، تثبت مرةً وتنفي اخرى، تتساءل وتتناقض، ولا تجد من حيرتك مخرجاً.

الحل العملي

على ان واقع الحياة يقضي بالعمل، والعمل قضاءٌ على كل حيرة، واختيار بين مختلف السبل.

وابو العلاء سيظل، حتى آخر حياته، متردد العقل في مسائل الغيب، حائراً امام اسرار الآخرة، ولكنه لن يستطيع ان يحجم عن كل عمل.

وابو العلاء قد اختار، وقد قاده في اختياره عقل، وقاده شعور.

انه سيرضخ لشريعة الوجود، ويتحمل ضنك الحياة[1].

وانه سيطلب الخير، ويؤثره على الشر. اجل لن يكون خيره ما تفرضه الاديان، لن يصوم ولن يحجّ ولن يصلي، لانه قد خلع كل دين. ولكنه سيتبع في ذلك بعض ما يسنّه العقل: لن يظلم، ولن يكذب، ولن يحسد، ولن يفعل بالغير ما لا يهواه لنفسه.

---

١) ان فكرة الانتحار قد خطرت لابي العلاء. فقد قال في كتاب الفصول والغايات: «لو امنت التبعة لجاز ان امسك عن الطعام والشراب حتّى اخلص من الحياة، ولكن ارهب غوائل السبيل.» وجاء، في رسالة منه الى ابن القارح: «قد كدت الحق برهط العدم، من غير الاسف ولا الندم، ولكن ارهب قدومي على الجبار.»

وابو العلاء سيعمل الخير لاسباب :

السبب الاول هو ان الخير جميل في ذاته ، والشر قبيح في ذاته ، واذًا فعل الخير واجب لانه خير ، وترك الشر واجب لانه شر :

فلتفعلِ النفس الجميل لانه خير واحسن، لا لاجل ثوابها.

والسبب الثاني هو ان فعل الخير اضمن وآمن . ما دام العقل لا يقوى على الجزم في مصير الانسان ، فمن الحكمة الا نتعرض لعقاب ابدي ، ونجازف دون سبب بهناء ممكن :

قال المنجّم والطبيب كلاهما: لا تحشر الاجسادُ! قلتُ: اليكما
ان صحّ قولكما فلستُ بخاسرٍ او صحّ قولي فالخسار عليكما
ان لم تعد بيدي منافع بالذي آتي، فهل من عائد بيديكما؟[1]

والسبب الثالث هو ان فعل الخير ادعى الى اطمئنان النفس :
هل فكّرت مرة في الموت ؟ ام هل رأيت شخصاً حضرته المنية ؟

---

١) هل الله موجود ام لا ؟ هل النفس خالدة ام لا ؟

هب كلا الفرضين غير ثابت ، وان العقل لا يرجح نفياً او اثباتاً ، فان ما يحكم به العقل ، وتوجيه الحكمة هو ان نختار عملياً آمن الطرق ، ان نؤمن بالله ونتقيه ، وان نستعد لحياة اخرى . ذاك ان هذا السلوك لا يعرضنا لخسران اذا لم يكن اله ، ولا نفس خالدة . اما اذا سلكنا العكس ، وكان الله موجوداً ، والنفس خالدة ، فاننا نعرّض انفسنا لعقاب عادل، وعذاب نهائي . سيلهون

ان الله اما موجود واما غير موجود ، فالى اي الفرضين نميل ؟ هب العقل لا يستطيع في المسألة بتاً ... فانه يجب ان تراهن ، لانك على الرهان مضطر ...

ما الربح وما الخسارة ، اذا راهنت ان الله موجود ؟ انك ان تربح ربحت كل شيء ، وان تخسر لم تخسر شيئاً . راهن اذاً ان الله موجود ولا تتردد !

– هذا حسن عجيب ! نعم ، يجب ان اراهن ، ولكن الا اخاطر في المراهنة ؟

– اسمع ! انه حين يستوي حظك من الربح والخسارة ، وتراهن على حياتين بحياة ، فالمراهنة معقولة . وان راهنت على ثلاث ، فالمراهنة واجبة ، لانك مضطر الى المراهنة ، ولان حظك من الربح والخسارة متعادل . وما القول اذا راهنت بحياتك الواحدة على حياة ابدية وهناء ابدي ؟...

أمن الممكن ان نقصر اعمالنا على ما هو اكيد ؟... كم نجازف ونخاطر ، في الاسفار ، وفي الحروب ... ؟ ! بسكال

ان شعوراً قوياً ينتاب النفس في تلك الساعة ، شعور الخوف من الحساب ، والندم على ما اتينا من اثم . فهلا اهتدينا بشعورنا هذا ، ووقينا انفسنا سوء مصير ؟

واذاً سيعاني ابو العلاء البقاء ، وسيعمل خيراً رآه ، وسينتظر ما يخبئ له الغيب .

٢ – المشكلة الشعورية

على ان حياته لن تكون بعد اليوم مباهاةً بعلم زاده شعوراً بالجهل ، او تفتيشاً عن شهرة اخطأها في بغداد نفسها ، او معاناة للحياة العائلية والاجتماعية كما اعتاد ان يفعل الناس .

انـــه سيقاسي البقاء ، ولكن بعد ان يخفف ثقيل وطأته ، ويستأصل جراثيم الامه ، فيصل الى هدوء الروح ، ونعيم القلب الخالي.

في الناس ادواء قديمة ، شقوا في حبها ، وخمّوا من نتنها ، وهم عن مداواتها عاجزون ؛ اما هو فسيعالجها العلاج الشافي الوحيد ، علاج الخنق والقطع ، مهما كلفه ذلك من وحشة وحرمان .

المال

من ادواء الناس القديمة حب المال ، يريدون به رخاء عيش وضمان غد . ومن حق الانسان ان يبحث عن قوته ولباسه . والا يكون معوزاً متسولا . ولكن لمَ الاسراف في رقيق المأكل وناعم الملبس ، ولمَ الخشية القلقة من عوز الغد ؟ ان هذا الاسراف لحاجة دائمة الى الثروة ، وان هذا الانسان المجهود ليكفيه عناء اليوم وشرّه .

هذا جناه ابي عليّ   وما جنيتُ على احد[١]

ه

ولكن الموت ، نهايةَ كل جهد وامل ، هو ايضاً نهاية كل حسد وحقد ، ولهذا تسابق الناس الى مأتم هذا المظلوم ، تتأسف عليه الجماهير ، ويرثيه الشعراء .

ومن احسن مـا قيل في رثائه ابيات ابي الفتح الحسن بن أبي حصينة من قصيدة :

العلم بعـد ابي العلاء مضيَّـعُ   والارض خاليـة الجوانب ، بلقع
أودى ، وقـد ملأ البلاد غرائباً   تسري كما تسري النجوم الطلَّع
ما كنت اعلم ، وهو يُودع في الثرى ،   ان الثرى فيـه الكواكب تودع
لو فاضت المهجات يوم وفاته   ما استكثرت فيه ، فكيف الادمع ؟
رفض الحياة ، ومات قبل مماته ،   متطوّعاً بـابر مـا يُتطوّع
قصدتك طلاّبُ العلوم ، ولاارى   للعلم باباً بعـد بابك يقـرع .

١) لم تنفذ وصية ابي العلاء ، واستبدل البيت بهذه الكلمات الباهتة : هذا قبر ابي العلاء بن عبدالله بن سليمن .

خلاصة ونقد

عرضنا اراء ابي العلاء في صراحتها النابية، لم نلطّف ولم نهمل، لئلا نُتهم باننّا نشوّه التاريخ.

لا بل جمعنا من اراء ابي العلاء ما لم يَجمع، ونسّقنا ما لم ينسّق، وابرزنا افكاره في شبه مذهب متماسك[1].

واهم ما في هذه الافكار لونان:

١ — التشاؤم

لتشاؤم ابي العلاء بواعث عامة وخاصة:

---

١) تساءل كثيرون: هل ابو العلاء فيلسوف، وتباينوا في ذلك آراء.

رأت فئة ان الفيلسوف من يتعرض لمعضلات متصلة بطبيعة الكون والانسان، فيرى لها حلولاً، ويؤيد حلوله ببراهين، ويعرض كل ذلك في شكل مذهب. وهذه الفئة رأت ان ابا العلاء قد تعرض لمعضلات، ولكنه لم يستقر دائماً على حلول، ولم يعط عادة براهين، وخلا عرضه من كل تأليف وتنسيق. ولهذا انكرت على ابي العلاء هذا اللقب.

ورأت فئة اخرى ان الفيلسوف من كانت له نظرة في الحياة والبشر، ومن استنتج من نظرته سيرة، واخضع لهذه السيرة نفسه، فعاش اراءه، ولاءم بين فكره وعمله. واستناداً الى هذا يكون ابو العلاء من احق المفكرين بلقب فيلسوف.

وعندنا ان الخلاف ليس في تقدير ابي العلاء بقدر ما هو في تحديد الفيلسوف. وحين يختلف التحديد تختلف النظرة حتماً.

ورأينا في النظرتين هو هذا: ان عقل الانسان ليرى، وارادته لتعمل بما يرى العقل. وعليه لا يكفي الانسان ان يبدع النظريات الشامخة، ويبني البناء المرصوص، اذا كان لا يخضع ارادته لعقله، وسيرته لفكره. واذاً الفيلسوف الاكبر هو الذي فكر وبنى، وهو الذي عمل ايضاً. على كل فلسفة ان تتكلل بالحكمة. واذا صحت هذه النظرة، كان لنا ان نعيب على ابي العلاء تردده، وتناقضه، وتفكك ارائه، كما كان علينا ان نقدّر ما انتهى اليه من حكمة، وما فرض على نفسه من سيرة. وكم هم الفلاسفة الذين ادركوا الكمال، الذين بنوا للفكر صرحاً، وعاشوا ضمن ذلك البناء؟

ان ابا العلاء، كفيلسوف نظري خالص، دون كبار الفلاسفة واقرب الى فئة السفسطائيين والمتشائمين. اما ابو العلاء الحكيم فيهز منك مواطن شعور، ويستهويك بما يلغه من هدوء.

فالبواعث العامة ما خبره في انسان بيئته من ضروب الفساد ، وفي حياة البشر من الوان الشقاء .

والبواعث الخاصة ما المّ به من بلايا ، من عمىً وفقر حالا دون متعاتٍ وهناء .

على ان كثيرين خبروا ما خبر ابو العلاء ، وبلُوا بما بُلي ، ولم ينقموا ويتشاءموا .

هو مزاج ابي العلاء ، وهو احساسه المرهف الدقيق ، جعلاه يتأذّى بما لا يتأذّى به الآخرون ، ويتألم حين لا يتألمون ، فاذا به يضخّم ما خبر ورأى ، ويعمّم ما ضخّم على كل انسان ، وكل زمانٍ ومكان ، واذا به ينقم على كل البشر – ينقم على المرأة خاصة[1] – فيعتزلّ البشر ، لا يلقى شرّهم او يشاركهم همهم ، او يأمل منهم حناناً او حباً ، واذا به يكره الحياة نفسها ، فيؤثر العدم على الوجود ، وضجعة الموت على هموم البقاء .

---

١) نقم على المرأة نقمة راغب عاجز استغوى فا غوى ، وورد فا ارتوى ، فلم وجار ، وسب سباب ذي ثار .

والحق هو ان المرأة خليقة مزهوة ، وان هذا الزهو لطلاء يحجب عن الرجل ما ما فيها من تفان وحنان ، ويخدعه غالباً عن نياتها ، فيتوهمها شهوة دنسة يوم لا تنوي ان تكون سوى الهية للعين ، وزينة الحياة الدنيا . وانك لتفهم هذا الزهو اذا فكرت بان سحر المرأة الاكبر لفي جمالها ، وان هذا الجمال قصير العمر ، سريع الدثور ، وان المرأة يوم تزهو ، وتبالغ في الزهو والاغراء ، تحاول ان تعوّض عن قصر وقتها الفتان بخصب الحياة الزاخرة المصخاب . لذلك كان رقي المرأة العقلي – ومجد العقل ابقى من سحر الجمال – افضل دواء لهذا الزهو ، وكان العلم خير دافع الى الرزانة والحشمة . لقد ضل ابو العلاء كثيراً ، يوم قضى على المرأة بالجهل ، ونصح بعزلها عن المجتمع . المرأة رفيقة الرجل ، وام الابناء ، واي هناء للرجل في رفيقة ساذجة ، ام أي خير للابناء في مربية جاهلة ؟ والمرأة انسان كالرجل لها حقه في العلم ، والحرية ، والكمال . وعفاف المرأة عطر يصان في القلب ، وتحرص عليه الروح ، ان هو افلت الى الخارج لم تعقه ابواب ، او يحفظه قناع .

٢ – الشك

الشكّ انواع :

منه حقيقي ومنهجي : الاول عجز العقل عن حكم يقيني ، والثاني توقّفه عن الحكم ريثما تؤيده ادلة يقينية .

ومنه عام ومحدود : الاول عجز العقل عن تأكيد ايّ شيء ، نفياً او اثباتاً ، والثاني عجزه عن تأكيد شيء في مسائل معيّنة .

ومنه دائم وعابر : الاول يرافق صاحبه حتى نهاية العمر ، والثاني ينتابه فترة ويزول .

وإن ننظر الى شكّ ابي العلاء ، على ضوء هذه التحاديد ، نثبت ما يلي :

١ ما كان شكّه عاماً : ما شك في العالم المحسوس ، ولا في خالقٍ له قادرٍ حكيم .

٢ شكّ في الاديان شكاً عابراً : آمن بدين ابويه صبياً ، وشكّ فيه شاباً ، وانكر كل دين ، عهد النضج ، منتقلاً هكذا من ايمان الى كفر ، وكلاهما يقين .

٣ شكّ في ما يتعلق بالمصير شكاً دائماً : لِمَ خلقنا الله ؟ هل تخلد نفوسنا ، وتُبعث اجسادنا ؟ وهل نحن احرار نُسأل عما نعمل ، نُعاقب ونثاب ؟ يُعجزه الجواب عن هذه الاسئلة ، ويتردد بين شتى الحجج ، فاذا هو يتساءل ، واذا هو يتناقض : انـه يتساءل ، لان الادلة تتقابل ، تتقابل وتتكافأ . وانه يتناقض ، لانه يقتنع مرة بدليل فيثبت رأياً ، ويقتنع اخرى بدليلٍ معاكس فيثبت رأياً معاكساً[1] .

١) نحن لا نعتقد ان تقية ابي العلاء – اي حرصه على كتمان بعض ارائه – هي سبب ما نرى لديه من تردد وتناقض ، لأن في شعر ابي العلاء انكاراً لجلّ عقائد الاسلام ، بل للاسلام نفسه .

اما هو فلديه وقف يدر عليه نحو ثلاثين ديناراً في السنة ، وانه سيرضى بهذا الريع الزهيد ، ينال به قوت اليوم ، وثوباً من القطن الخشن . سيعتاض عن الخمرة بما تمطره السماء ، وعن لحم الحيوان ونتاجه بما تثمره الارض من عدس وتين وبقول ، لان كل ذلك من حظ المال الوفير[١] ، ولانه بعدُ حريص على عقله من المسكر ، حريص على الرأفة بحيوان مظلوم كضعفاء العالم المظلومين . وهذا الحرص على الرأفة بالحيوان لن يوهنه المرض نفسه ، فاذا وصف طبيب فروجاً مرة ، قال ابو العلاء : « استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الاسد ؟ ! » وهكذا سيعيش قنوعاً بما لديه ، زاهداً فيما سواه ، لا يقلقه همّ الكسب او تضنيه خسارة المنكوب ، وسيشفى من داء الغنى القديم :

الحمد لله قد اصبحت ذا دعةٍ ارضى القليل ، ولا اهتم بالقوت

المجد

وابو العلاء سيستأصل من نفسه داءً آخر قديماً ، داء الطموح الى الشهرة والمجد . ما هناء ملك يطمع فيه الكثيرون ويحرسه الجيش اللجب ، او ما لذة مجد يخلق لك الحساد ، ولا يروي لك ظمأ ؟ انت لن تدرك املاً الا بالعمل الجمّ ، والجد الطويل ، وكم من

١) جاء في رسالة من ابي العلاء الى داعي الدعاة بمصر :

« وبما حثني على ترك اكل الحيوان ان الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً ، فاذا اخذ خادمي بعض ما يجب ، بقي ما لا يعجب . فاقتصرت على فول وبلسن (عدس) ، وما لا يعذب بالالسن ... ولست اريد في رزقي زيادة ، ولا أوثر لسقمي عيادة . »

وقال : في رسالة اخرى الى داعي الدعاة ايضاً ، متحدثاً عن نفسه :

« اما العبد الضعيف العاجز فما له رغبة في التوسع ، ومعاودة الاطعمة ، وتركها صار له طبعاً ثانياً ، وله ، ما اكل شيئاً من حيوان ، خمس واربعون سنة . »

آمالك وهم مستحيل ، او غرور ينتهي بك في بركة من الدماء ، او فسحة لن تصل منها الى غاية :

اذا اجزتَ مدى منها رأيتَ مدى !..

وهبك حققت ما اردت من امل ، وبلغت ما اشتهيت من صعود ، وهبك راضياً عما قاسيت من اجهاد النفس وعناء الروح ، ألا يمر كل ذلك في لمحة طرف ، وينتهي كل صعودك في هوة القبر؟ فما اروح الخمول ، واهدأ القناعة ! افضل الامال الراحة من هذيان الامال !... من يعمل كمن لا يعمل ، والعام كاليوم ، والانسان كالظل ، وكل الى زوال :

كأنَّ ما دام ثم انبتَّ لم يدمِ !...

القلب

على ان اعضل الادواء البشرية والحّها لحاجة القلب ، حاجةُ الانسان الى انيسٍ ألوف ، وصديقٍ وفي ، وزوج رؤوم ، وولد بار . قد ينام الانسان على الفقر ، ويصبر على الضعة . ولكنه يهرب جهده من وحشة الانفراد ، ويرعبه فراغ الوحدة : يرهب غنيُّ الروح العزلة ، لان لذة روحه في انفاق غناها ، ويرهبها فقيرها لانه اذا خلا الى نفسه احسَّ بعمق فراغه . ولم يكن ابو العلاء بالقلب الصلب لا تستهويه لذة او يقلقه هوى ، ولكنها خشية الاثم ، ولكنها رهبة الاذى دفعتا به الى هجران الناس اجمعين ، ليسلم من فسادهم ، وينجو من ظلمهم :

ولي مذهبٌ في هجريَ الانس نافعٌ اذا الناس خاضوا في اختيار المذاهبِ

انه سيعيش منفرداً عن الناس ، « رهين محبسين » بيته وعماه

لا يرجو لهم اصلاحاً ، ولا يلقى منهم شراً ، لا يقاسي خيانة او يتحمل عبئاً :

في الوحدة الراحةُ العظمى فآخي بها قلباً ، وفي الكون بين الناس اثقالُ

في هذه الوحدة راحة من مجالسة الرؤساء يريدونه على ستر عيوبهم البارزة ، ونشر صفاتهم الموهومة ، ومن الاهتمام بسياسة كثر فيها الظلم والدهاء ، وقلّ العدل والاستقامة .

وفيها بعد عن زائر يطرق بابه ، او صديق يريد انسه ، وما هو بالصخرة لا تشعر بانس او الفة ، ولكنه يخاف ادناس الجليس ، ونفاق الصديق فيفضّل عليهما عزلته القاسية :

تخيّرْ فامـــا وحدة مثل ميتة واما جليس في الحيـــاة منافق

وفيها نجاة من امرأة وخلاص من نسل . وهو ليس بالكاره للذّات الزواج ، ولا بالغني عن عطف حليلة او عون ولد ، ولكنه يشعر بالعجز عن اشباع كل رغائب المرأة ، لا سيما وقد فقد الجمال والغنى والشباب ، امنياتها الكبرى ، ويشعر بمسؤولية النسل واعبـــاء الاسرة ، فيؤثر وحشة القلب الخالي على ريبة الزوج المخدوع ، وهمّ الوالد المعول :

وهوّن ارزاء الحوادث انني وحيدٌ اعانيهـــا بغير عيـــالِ

هدوء

على هذا النظام القاسي سار ابو العلاء نحو نصف قرن ، يريد به النجاة من فساد البشر ، وعناء الآمال واللذات ، والاستقرار على اهنأ حالة نفسية ، وكأن مثاله الاعلى الجماد الساكن لا يغص بمأكل او يشرق بماء ، لا يرتاع لحر ، او يبكي لرزية .

وابو العلاء استطاع الوصول ، او كاد ، الى حالة الهدوء التام ، لا يزعجه فقر او يهمه غنى ، لا يستهويه مجد او يقلقه خمول ، لا يحنّ الى انس او يميل الى جسد ، لا يعبأ بحياة او يخاف من موت ، لا يطرب لغناء او يدمع لنواح ، لانه يرى زوال كل لذة ، وفناء كل امل ، فيتساوى كل شيء عند عتبة العدم ، وتذوب كل عاطفة عند فكرة الزوال ، ويحلو كل حرمان في سبيل راحة القلب . وانت ترى كل ذلك في قصيدة هي اجمل شعره ، لانها زبدة هذا الهدوء وزبدة حياته ، هي قصيدة رثاء لابي حمزة نظمها اثناء عزلته ، ننقل لك اهم ابياتها ، وندعوك الى التأمل الطويل فيها :

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي   نوحُ باكٍ ولا ترنّم شادِ
وشبيهٌ صوتُ النعيّ اذا قيس   بصوتِ البشيرِ في كل نادِ
أبكت تلكمُ الحمامةُ ام غنّت   على فرعِ غصنها الميّادِ
صاحِ ، هذي قبورنا تملأ الرُحب   ، فاين القبور من عهد عادِ
خففِ الوطءَ ما اظنّ أديم الـ   أرض الا من هذه الاجسادِ
سرْ ان اسطعتَ في الهواء رويداً   لا اختيالاً على رُفات العبادِ
فقبيحٌ بنا وان قدُم العهـ   د هوانُ الآباء والاجدادِ
ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً   ضاحكٍ من تزاحم الاضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ   في طويلِ الازمان والآبادِ
تعبٌ كلّها الحياةُ فما اعـ   جبُ الا من راغبٍ في ازديادِ
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ   جسمُ فيها، والعيشُ مثل السهادِ

وهذا السجين الذي تساوى لديه الشدو والنواح، وآثر الموت على الحياة، فارق هذه الدنيا، وهو هادئٌ مطمئن، عزاؤه الوحيد منها ما اوصى ان يكتب على قبره، وهو كونه لم يلد للشقاء :

وابو العلاء ظل ، نظرياً ، محتاراً امام مشكلات الغيب ، حتى آخر حياته ، ظل يتساءل ويتناقض ، لانه لا يرى رأيَ اليقين . اما دعوته الى عمل الخير دعوة من يؤمن بمصير فحلٌ عملي يسلك اضمن الطرق ، ويغلق باب القلق .

اختلفت مواقف العقل ، عند ابي العلاء ، باختلاف المواضيع التي عرضت له ، فاذا فيلسوفنا ذو مذهب خاص لا يصل الى الشك الشامل ، ولا يعود الى اليقين الشامل ، ويبدو عقلانياً ولا أدريا معاً .

•

قد يأخذ قارئ على ابي العلاء شكوكه وتشاؤمه .

ولكن ليس لاحد ان ينقم على اعمى المعرة ، لا من اجل شكّه ، ولا من اجل تشاؤمه :

ان في سخريته بالاديان ، بما فيها من تعدد ، وتقليد ، ورياء ، ايماناً بوحدة الحق ، وبان حجة الدين ثماره .

وان في حيرته امانة لما يرى عقلٌ عاجز ، واحجاماً عن الادعاء الجازم .

وان في نقده لاوضاع عصره نفرةً من الظلم ، وثورة على الشرّ والفساد .

وان في عزلته قمعاً للهوى ، وصلابة في السيرة ، وصبوة الى هدوء الروح .

وفي كل ذاك عبر ،

وهدى لمن استبصر .

ونحن لا نقتنع بان ابا العلاء ما تناقض ، بل تطور تفكيره : ان الاستناد الى ترتيب اللزوميات ، الى كون ترتيبها التاريخي غير ترتيبها في الكتاب ، لا يكفي للاقناع بالتطور الفكري من ايمان الى جحود ، بل هو مجرد تقدير لتبرير تناقض . وتفسير هذا التناقض ، في نظرنا ، هو حيرة ابي العلاء ، اي عجزه ، امام تناقض الادلة ، عن الاختيار والجزم ، وركونه ، وفقاً للحالة الطارئة ، الى هذا الدليل او الى نقيضه .

مختارات

قد لا تعرف كتاباً اضعف تأليفاً او اكثر مراجعات من لزوميات ابي العلاء. ان ترتيب القصائد، في هذا الديوان الضخم، لرهن القافية، والقافية لرهن حرفيّ اللزوم، والمعاني لرهن القافية وحرفي اللزوم معاً. كل هذا يجعل القصيدة الواحدة، او المقطع الواحد، يلمّان بشتى المواضيع، ويجعل جمعها تحت عناوين متميزة مستحيلاً. على اننا بذلنا الجهد للوصول الى شيء من ذلك، فجزّأنا مقاطع وقصائد، واكتفينا احياناً بابيات، وجمعنا الكل تحت عناوين. اقدمنا على ذلك دون اشفاق، مسقطين جهدنا الوحشي والغريب، مؤثرين ما جلّ معناه، وصفا اخراجه الشعري، مرتبين ذلك اقساماً اربعة:

١ ـ **اين الخير ؟** ـ يشمل ما دار حول فساد الطبع، وسوء السياسة، وضلال الاديان ونفاق اهلها، وفساد النساء وافسادهن.

٢ ـ **اين السعادة ؟** ـ ترى فيه شقاء الناس، وضنك البقاء، وهناء الموت.

٣ ـ **اين الحق ؟** ـ ترى ما انتاب ابا العلاء من شك في قدرة العقل، وحيرة في مصير الانسان، في خلود نفسه، وبعث جسده، وحرية فعله ؟

٤ ـ **النجاة** : في عزلة زاهدة، يسلم فيها من اذى الناس، واعباء الزوج، ونفاق الصديق، ويكتفي باليسير من القوت واللباس، لا يظلم حيواناً او يفقد عقله بشراب، فيصل هكذا الى هناء القلب الخالي، وراحة الجهاد.

اين الخير

فساد الطبع :

ابناء آدم

فَسْـلٌ ابو عالمنـا آدمٌ ونحن ، من عالمنـا ، افسلُ[1]
والخير محبـوب ، ولكنـه يعجز عنه الحيّ ، او يكسلُ
والارضُ للطوفـان مشتاقـةٌ لعلّهـا من درن تُغسلُ .

بنو حواء

انمازت الناس َاخلاقٌ تُقاسُ بها فانهم عنـد سوء الطبع اسواء
او كان كلُ بني حواء ُيشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء!

أيا جسد المرء ...

ايا جسدَ المرء ، ماذا دهاكا وقد كنتَ من عنصر طيّب
تخبثتَ ، اذ جُمعتْ اربـعٌ لديكَ ، واضحكتَ في الحيّ بي[2]
فلا تجزعنَّ اذا مـا الحِمـا مُ صاح بوفـد الضنا : هيّ بي!
تصير طَهوراً ، اذا ما رجعتَ الى الاصل ، كالمطر الصيّب

---

1) افسل : احقر .
2) اربع : هي العناصر الاربعة ، الماء والهواء والنار والتراب .

غلبة الطبع

يتحاربُ الطبعُ ،الذي مزُجت به   مُهج الانام ، وعقلُهم ، فيفلّهُ
ويظل ينظر ـما سناه بنافعٍ ـ   كالشمس يسترها الغمامُ وظلّهُ
حتى اذا حضر الحِمامُ تبيّنوا   ان الذي فعلوه جهـــلٌ كلّهُ .

غلبة الهوى

وقد غلب الاحياءَ في كل وجهة   هواهم ، وان كانوا غطارفةً غُلبا
كلابٌ تغاوت او تعاوت لجيفةٍ   واحسبني اصبحتُ الأمها كلبا .

جسمي انجاس

بنتُ عن الدنيا ولا بنتَ لي   فيها ، ولا عِرسٌ ، ولا أختُ
ان مدحوني ، ساءَني مدحُهم   وخلتُ اني في الثرى سختُ[1]
جسميَ انجاسٌ ، فـــا سرّني   أني بمسك القـــول ضُمّختُ
مـــن وسخٍ صاغَ الفتى ربّه   فـــلا يقولـــنّ توسختُ .

نحن ثقل

كأنمـــا الارض شاع فيهـــا   مـــن طيب ازهارهـــا بخورُ
اثنتْ على ربّهـــا السواري   والنبتُ والمـــاء والصخورُ
ونحن فوق التراب ثقـــلٌ   يكـــاد من تحتنـــا يخورُ

---

١) سخت : غصت .

فاض الدنس

قد فاضتِ الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلمُ من ناسها .

ابيات

والشرّ في الجد القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضاربُ .

فلا تعذلينا ، كلّنا ابنُ لئيمةٍ وهل تعذبُ الأثمار، ان لؤمَ الغرس ؟

لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً وجاؤوا الذي جاؤوه من شرهم طبعا .

القلبُ كالماء ، والاهواء طافيةٌ عليه مثل حبابِ الماء في الماء .

تفرّقوا كي يقلَّ شرُّكمُ فانما الناسُ كلّهم وسخُ !

يغدو على خله الانسانُ يظلمه كالذيبِ يأكل عند الغرّة الذيبا !

فساد السياسة :

شياطين مسلطة

يكفيكَ حزناً ذهابُ الصالحين معاً ونحن بعدهمُ في الارض قطّان
ان العراق وان الشام مذ زمنٍ صفرانِ ما بهما للملك سلطانُ
ساس الانامَ شياطينٌ مسلّطةٌ في كل مصر من الوالين شيطانُ .

وينفر عقلي مغضباً ان تركته سدًى، واتبعتُ الشافعيَّ ومالكا .
سألتُ المحدّثَ عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك .
اجاز الشافعيُّ فعالَ شيء وقال ابو حنيفة لا يجوزُ!

دينا رياء

قد حُجبَ الدينُ والضياءُ وانما ديننا رياءُ
يا عالمَ السوء ، ما علمنا ان مُصليكَ اتقياءُ
لا يكذبنَّ امرؤ جهول ما فيك لله اولياءُ
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياءُ
فانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزُل داؤكَ العياءُ
حكمٌ جرى للمليك فينا ونحن في الاصل اغبياءُ .

رويدك !...

رويدكَ قد غُررتَ وانت حرّ بصاحبِ حيلة يعظ النساءَ
يحرّم فيكمُ الصهباء صبحاً ويشربها على عمدٍ مساءَ
تحساها فمن مزجٍ وصرفٍ يعُلّ كأنما ورد الحساءَ
يقول لكم غدوتُ بلا كساءٍ وفي لذاتها رهن الكساءَ
اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين، لا جهةٍ اساءَ .

كم ينشدون ...

ما وُفقوا ، حسبوني من خيارهم فخلهم ، لا يُرجّى منهم الرشدُ

اما اذا ما دعا الداعي لمكرمةٍ فهم قليلٌ ، ولكن في الاذى حشد
كم ينشدون صفاءً من دياناتهمْ وليس يوجد حتى الموتِ ما نشدوا .

اسلام النصراني

قد اسلم الرجلُ النصرانُ مرتغباً وليس ذلك من حبّ لاسلامِ
وانما رام عزّاً في معيشته او خاف ضربةَ ماضي الحد قلاّمِ
او شاء تزويجَ مثلِ الظبي مُعلمة للناظرينَ باسوارٍ وعُلامِ .[1]

جلوا صارماً

أتوكم باقيالهم[2] والحسام فشدّ بهم زاعمٌ ما زعمْ
تلوا باطلاً ، وجلوا صارماً وقالوا صدقنا ، فقلتم نعمْ !
افيقوا فانّ احاديثهم ضعافُ القواعد والمدّعمْ
زخارفُ ما ثبتتْ في العقو لِ ، عمّى عليكم بهن المعمّ .

توهمت ...

توهمتَ ، يا مغرورُ ، أنك ديّنٌ عليّ يمينُ الله ما لكَ دينُ
تسيرُ الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جارٌ بائس وخدين .

---

١) العلام : الحناء .
٢) القيل : الرئيس .

لا يكذبوا !

قالوا فلان جيدٌ لصديقه لا يكذبوا ! ما في البرية جيِّدُ
فاميرهم نال الامارة بالخنى وتقيّهم بصلاته متصيِّدُ .

كل الناس بور

كتابُ محمد ، وكتاب موسى وانجيلُ ابن مريم ، والزبورُ
نهت امماً ، فما قبلت وبارت نصيحتها ، فكلّ الناس بورُ .

بعداً لكم

مساجدكم ومواخيركم سواء ، فبعداً لكم من بشر
وما انتمُ بالنبات الحميد ولا بالنخيل ، ولا بالعُشَر[1]
ولكن قتادٌ عديم الجناة ، كثير الاذاة ، أبى غير شرّ
وليلكمُ ابداً مظلمٌ فهل ترقبون صباحاً جشر؟[2]
فيا ليتني في الثرى لا اقوم إن الله ناداكم او حشر
وما سرّني انني في الحياة ، وإن بان لي شرفٌ وانتشر .

ماكر او غبيّ

وقد فتشت عن اصحاب دينٍ لهم نسكٌ ، وليس لهم رياءُ
فالفيت البهائمَ لا عقولٌ تقيم لها الدليلَ ، ولا ضياء

---

١) العشر : شجر .
٢) جشر : طلع .

واخوان الفطانةِ في احتيالٍ كأنهم لقـــومٍ انبيـــاء
فأمـــا هؤلاء فاهلُ مكرٍ واما الاولون فاغبيـــاء!

ما الخير

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانمـــا هو ترك الشر مطّرحاً ونفضك الصدر من غلّ ومن حسد .

ابيات

سبح وصل وطفْ بمكة زائرا سبعين لا سبعاً فلست بزائرِ!

٭

طلبَ النساءَ شبابَه ، حتى اذا وضحت مفارقه تأهّل ينسك!

٭

اذا قيـــل ان الفتى ناسكٌ ورام الجمال فـــلا نسك لهْ .

فساد المرأة :

النساء

ترنّمْ في نهـــارك مستعينـــاً بذكر الله في المترنّمات[١]
وهينمْ ، والظلامُ عليك داجٍ ، لدى وُرْقٍ سُمعن مهينمات[٢]
ولا تُرجعْ بايمـــاءٍ سلاماً على بيضٍ اشرن مسلّمات

١) المترنمات : الطيور الصادحة .
٢) الهينمة : الصوت الخفي .

عزف ونزف

وجدتُ الناسَ في هرجٍ ومرجٍ غواةً بين معتزلٍ ومرجي
فشأن ملوكهم عزفٌ ونزفٌ واصحاب الامور جباة خرجٍ [1]
افي الدنيا ، لحاها اللهُ ، حقٌّ فيطلبَ في حنادسها بسرجٍ ؟

ظلموا الرعية

ملَّ المُقامُ فكم اعاشرُ امةً امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية، واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها .

ابيات

وأرى ملوكاً لا تحوط رعية فعلامَ تؤخذ جزية ومكوسُ ؟

ومن شر البرية ربُّ ملكٍ يريد رعيةً ان يسجدوا له .

اما واللهِ لو اني تقيٌّ لما آخيتُ مثلك وهو قاضٍ .

يسوسون الامور بغير عقلٍ فينفذ امرهم ويقال ساسهْ !

---

١) نزف : سكر .

ضلال الاديان وفساد اهلها :

افيقوا

افيقوا ، افيقوا يا غواةُ فانمـا ديانتكم مكر من القدمـاء
ارادوا بهـا جمع الحطام فادركوا وبادوا ، ومـاتت سنّة اللؤماء .

واورثوا الدين

عاشوا كما عاش اباء لهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون مـا قالوا وما سمعوا ولا يبالون ، من غيّ، لمن سجدوا .

الدين تقليد

وينشأُ ناشئُ الفتيـان منـا على مـا كان عوده ابوهُ
وما دان الفتى بحجىً ، ولكن يعلمـه التدينَ اقربـوهُ .

والعقل يعجب

والعقلُ يعجب ، والشرائع كلّها خبر يُقلّد لم يقسه قـائسُ
متمجّسون ومسلمون ومعشر متنصرون وهائـدون رسائس[١]
وبيوت نيرانٍ تُزار تعبداً ومساجـد معمورة وكنائس
والصابئون يعظّمون كواكباً وطباع كلّ في الشرور حبائس .

١) رسائس : جمع رسيس وهو اول كل شيء : اليهودية اقدم هذه الاديان .

اختلاف الاديان

وجدنا اختلافاً بيننا في الهنا وفي غيره ، عزّ الذي جلّ واتحدْ
لنا جمعة والسبت يدعى لامة اطافت بموسى، والنصارى لها الاحد
فهل لبواقي السبعة الزهر معشرٌ يجلّونها ممن تنسك او زهد
تقرب ناسٌ بالمدام ، وعندنا على كل حالٍ ان شاربها يُحد .

ظلام سرمد

لا تبدؤوني بالعداوة منكمُ فمسيحكم عندي نظير محمدِ
أيغيث ضوء الصبح ناظر مدلجٍ ام نحن اجمع في ظلام سرمدِ؟

لهم غرض ...

كأن نفوسَ الناس، والله شاهد، نفوسُ فراشٍ ما لهنّ حلومُ
وقالوا فقيه ، والفقيه مموّهٌ وحلفُ جدالٍ ، والكلام كلوم
اتوك باصناف المحال ، وانما لهم غرض في ان يقال علوم .

صوفية ...

صوفية ما رضُوا للصوف نسبتهم حتى ادّعوا انهم من طاعة صوفوا
تبارك الله ، دهر حشوه كذب فالمرء منا بغير الحق موصوف .

لا امام ...

يرتجي الناسُ ان يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساء[1]

---

١) امام : هو الامام المعصوم الذي تقول به الباطنية .

كذب الظنّ ، لا امامَ سوى العقـ ـلِ مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلبَ الرحمـ ـة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسبا بٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقلاً على الجلساء .

احتيال

ولا تطيعنّ قوماً ما ديانتهم الا احتيالٌ على اخذ الإتاوات[1]
وانما حمّل التوراةَ قارئَها كسبُ الفوائد ، لا حبّ التلاوات
ان الشرائع القت بيننا إحناً واودعتنا افانين العداوات
وهل أبيحت نساء القوم عن عرض للعرب الا بأحكام النبوات !

دين الزنادیق

تستروا بامور في ديانتهم وانما دينهم دين الزناديقِ
نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديقِ .

العقل امام

وكم غرّتِ الدنيا بنيها وساءني مع الناس مينٌ في الاحاديث والنقلِ
ساتبع من يدعو الى الخير جاهداً وارحل عنها ما إمامي سوى عقلي .

ابيات

ايها الغِرّ ، ان خُصصتَ بعقلٍ فاسألنْه ، فكلّ عقل نبيّ

٥

١) الاتاوة : الرشوة ، الجزية .

فوارسُ فتنـــةٍ ، اعلامُ غيٍّ	لقينك بالاساور معلَمات[١]
وسامٌ ما اقتنعن بحسنِ اصلٍ	فجئنك بالخضاب موسَّمات[٢]
وقد يصبحنَ ، عن برٍّ ونسكٍ ،	باطيبِ عنبرٍ متنسّمات[٣]
كأنَّ خواتمَ الافواه فُضَّتْ	عن الصُهب العِذاب مختَّمات[٤]
ثنتهنَّ الجماجمُ عن مرادٍ	بشيب ، فانثنينَ مجمجمات[٥]
خمورُ الريق لسنَ بكل حالٍ	على طلاّبهنَّ محرَّمات
ولكنَّ الاوانسَ باعثاتٌ	ركابَكَ في مهالكَ مقتَمات[٦]
صحبتَكَ فاستفدتَ بهنَّ ولدًا	اصابك من اذاتك بالسمات[٧]
ومَن رُزقَ البنين فغير ناءٍ	بذلك عن نوائبَ مسقمات
فن ثُكلٍ يُهاب ، ومن عُقوقٍ	وارزاءٍ يجئنَ مُصمَّات[٨]
وان تُعطَ الاناثَ فايّ بؤسٍ	تبيّن في وجوه مقسَّمات[٩]
يُردن بعولةً ، ويردنَ حلياً	ويلقين الخطوب ملوَّمات
ولسنَ بدافعات يومَ حربٍ	ولا في غــارةٍ متغشَّمات[١٠]
ودفنٌ ، والحوادثُ فاجعاتٌ ،	لاحداهنَّ احدى المكرمات
وقد يفقدن ازواجـاً كراماً	فيـا للنسوةِ المتأيّمات
يلدن اعادياً ، ويكنَّ عارًا	اذا امسين في المتهضّمات[١١]

١) معلمات : مزينات .
٢) وسام : حسان – بحسن اصل : الحسن الطبيعي – موسمات : محسنات .
٣) متنسمات : متنفسات .
٤) الصهب : الخمور – مختمات : مختومة .
٥) مجمجمات : يقلن كلاماً غير مفهوم .
٦) مقتمات : سوداء .
٧) السمات : آثار الكي .
٨) مصمات : يحدثن الصمم .
٩) مقسمات : جميلات .
١٠) المتغشم : الشجاع الجريء .
١١) المتهضمات : المظلومات ، المسبيات .

. . . .

وما الجاراتُ الا جارياتٌ بعيبك ان وُجدن مُهيّمات[1]
فلا تسألْ اهند ام لمَيسٌ ثوت في النسوة المتخيّمات[2]
ولا ترمقْ بعينك رائحات الى حمّامهن مكمّمات[3]
ومن عاشرتَ من انسٍ فحاذرْ غوائلَ مرّدَ متهكّمات[4]
متى يطمعن فيك يُرين تيهاً لأطيب مطعمٍ متأجّمات[5]
وليس عكوفهنّ على المصلّى أماناً من غوارِّ مجرمات[6]
ولا تحمدْ حسانك ان توافت بايدٍ للسطور مقوّمات[7]
فحملُ مغازلِ النسوان اولى بهنّ من اليراع مقلّمات[8]
سهامٌ ، ان عرفن كتابَ لسنٍ رجعن بما يسوءُ مسمّمات[9]
ويتركن الرشيد بغير لبٍّ اتين لهديه متعلّمات
ليأخذنَ التلاوةَ عن عجوزٍ من اللائي فغرن مهتّمات[10]،
يسبّحن المليك بكل جنحٍ ويركعن الضحى متأثّمات
فما عيبٌ على الفتيات لحنٌ اذا قلن المرادَ مترجمات[11]
ولا يدنين من رجلٍ ضرير يلقنّهنّ آياً محكمات،

---

١) مهيمات : مغرمات ، ذوات هيام .
٢) تخيم في المكان : نصب خيمته .
٣) كمه : ستره وغطاه .
٤) مرّد : عاصيات .
٥) تأجم : غضب .
٦) غرّ : خدع .
٧) مقومات : تخطها مستقيمة .
٨) اليراع : القلم . قلم اليراعة : قطع ما طال منها ، لتصبح صالحة للكتابة .
٩) اللسن : اللغة . سممه : وضع فيه سماً .
١٠) فغرن مهتّمات : فتحن افواهاً فقدت اسنانها .
١١) لحن : خطأ في اعراب . مترجمات : يعبرن بالفاظ وصيغ مشابهة .

سوى من كان مرتعشا يداه ولِمّتــه مـن المتثغمات[١]
وان طاوعن امرك ، فانـّه غيدٌ يزرن عـرائساً متيمّات[٢]
اخذن كريش طاووسٍ لباساً ومسكاً بالضحى متلغمات[٣]
وأبعدهنّ عن ربّاتٍ مكرٍ سواحرَ يعتــدين معزّمات[٤]
يقلن نهيّجُ الغيّابَ حتى يجيئوا بالركاب مزمّمات[٥]
ونعطف هاجرَ الخلاّن كيما يزول عن السجايا المُسئمات[٦]

. . . .

ولا يتــأهلنْ شيخٌ مُقِــلٌ بمُعصرةٍ من المتنعمات[٧]
فان الفقر عيب، ان أُضيفت اليــه السّنّ ، جاء بمعظمات
ولكن عرسُ ذلك بنت دهرٍ تجنبتِ الوجوهَ محمّمات
من اللائي ، اذا لم يجد عامٌ تفــوقن الحوادث معدِمات[٨]
من الشُمط اعتزلن بكل عودٍ وافنــين السنين مجرّمــات[٩]
ويغتفر الغنى وخطاً بشيبٍ اذا كانت قــواك مسلّمات
وواحدةٌ كفتك فلا تجــاوزْ الى اخرى تجيء بمؤلمـات
وان ارغمت صاحبةٌ بضُرٍّ فاجدرْ ان تروع بمُعرمات[١٠]
زجاجٌ ان رفقتَ به ، والاّ رأيتَ ضروبَــه متقصّمات

١) تثغم : شاب .
٢) تيمم الامر : قصده وتوخاه .
٣) تلغم بالطيب : جعله على ملاغمه وهي الفم والانف وما حولها .
٤) عزم الراقي : قرأ العزائم .
٥) نهيج الغياب : نأتي بالحبيب الغائب ، اذ نثير فيه الحب. مزممات : من زمّ الجمل : خطمه .
٦) المسئمات : التي تحدث السآمة .
٧) اعصرت المرأة : ادركت .
٨) تفوق الشراب : شربه شيئاً بعد شيء .
٩) عام مجرم : تام .
١٠) الضرا : تزوج الرجل بثانية : معرمات : من اعرمه : جنى عليه ما لم يجنه .

وصن في الشرخ نفسك عن غوانٍ يزرن مع الكواكب معتمات[1]
فقديسري الغويّ الى المخازي بجنح في سحائبَ مُنجمات[2]
وما حفظ الخريدة َ مثل بُعلٍ تكون بـه من المتحرمات .

. . . .

فهـذا قـول مختبرٍ شفيقٍ ونصحٌ للحيـاة وللممات

ضعيفة عقل

عجبتُ للمرء اذ يسقي حليلته سُلافةً ، وهو منها تائب صاح
كأنّها اذا تحسّت ثمّ اربعةً او خمسةً شردتْ عنه بصحصاح[3]
كانت ضعيفة عقلٍ فاستزاد لها في ضعفه ، ضدّ عذّالٍ ونصّاحِ
وكان في لفظها عيّ[4] فايّده فلم تخبّرهُ عن شيء بافصاحِ .

محسود

اذا كانت لك امرأة حَصانٌ فانتَ مُحسَّد بين الفريقِ
فان جمعت الى الاحصان عقلاً فبُوركَ مثمرُ الغصن الوريقِ .

وحاول رضاها ...

لعمرك ما غادرتُ مطلعَ هضبةٍ من الفكر الا وارتقيتُ هضابَها
اقلّ الذي تجني الغواني تبرجٌ يُري العينَ منهـا حليها وخضابها

---

١) اعتم : سار في العتمة .
٢) انجم الشيء : ظهر وطلع .
٣) صحصاح : سهل .
٤) عي : عجز عن النطق .

فان انت عاشرت الكعابَ فصادها[١]   وحاول رضاها ، واحذرنّ غضابها
فكم بكرت تسقي الامرَّ حليلَها   من الغار ، اذ تسقي الخليل رضابها .

حبال غي

اذا بلغ الوليد لديك عشراً   فلا يدخلْ على الحرم الوليدُ
فان خالفتني ، واضعتَ نصحي   فانت ، وان رُزقتَ حجىً ، بليد
الا انّ النساء حبال غيٍّ   بهن يضيَّع الشرفُ التليد .

جاءت الجمرات ترمي ...

اتت خنساءُ مكةَ كالثريا   وحلَّت في المواطن فرقديها
ولو صلَّت بمنزلها وصامت   لألفت ما تحاوله لديها
ولكن جاءتِ الجمراتِ[٢] ترمي   وابصارُ الغواة الى يديها
وليس محمد في ما اتته   ولا الله القدير بمحمديها .

علموهن الغزل ...

علّموهنَّ الغزلَ والنسج والرد   نَ ، وخلّوا كتابة وقراءه
فصلاة الفتاة بالحمد والاخلا   ص تجزي عن يونس وبراءه .[٣]

---

١) صادى : دارى .
٢) الجمرة : الحصاة .
٣) الحمد والاخلاص سورتان قصيرتان ، ويونس وبراءة سورتان طويلتان .

كم عصيتن ! ...

انشئتِ ان تحفظي من انت صاحبةٌ له، فـــلا تدخلي في المصر حمّاما
فكم عصيتنّ من ناهٍ وناهيةٍ وكم فضحتنّ اخوالا واعمامـــا !

تكفيك واحدة

اذا كنتَ ذا ثنتين، فاغدُ محارباً عدوين، واحذرْ من ثلاث ضرائرِ
وان هنّ ابدين المودةَ والرضى فكم من حقودٍ غُيّبت في السرائرِ
قرانك مـــا بين النساء اذيّةٌ لهنّ، فلا تحملْ اذاة الحرائرِ
وان كنت غرّاً بالزمان واهله فتكفيك احدى الآنساتِ الغرائرِ

شر النسل

خير النساء اللواتي لم يلدنَ لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا
واكثر النسل يشقى الوالدان به فليتـــه كان عن آبائه دُفعا
اضاع داريك من دنيا وآخرةٍ لا الحيَّ اغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليلٍ رجاه للجمال أبٌ فكان خزياً باعلى هضبةٍ رُفعا .

تزوج الشيخ

تزوّج الشيخُ فالفيتـــه كأنه مُثقَلُ ابلٍ وَحِل
وعرسه في تعبٍ دائمٍ لا تخضب الكفَّ ولا تكتحل
ملّت ، وان احسن ، ايامَه تقول في النفس متى يرتحل !
لو مات لاستبدلتُ منه فتىً اني اراه مُحرماً لا يَحل .

بدا شيبه

بدا شيبه مثل النهار ولم يكن ٭ يشابه فجرًا او نجومَ ظلامِ
يحدّثها مــا لا تريد سماعه ٭ ولم يبقَ عند الشيخ غير كلام
تقول له في النفس غير مبينة ٭ خذِ المهرَ مني ، وانصرفْ بسلام
تودّ لو ان الله اعطاه حتفه ٭ وكيف لها من بعده بغلام؟

ابيات

لعمرك، ما زوجُ الفتاة بحازمٍ ٭ اذا ما الندامى في محلته غنوا .

٭

وما تمنع الخود الحصانَ حصونُها ٭ ولو ان ابراجَ السماء بروجها .

٭

اقيمي لا اعدُّ الحجّ فرضاً ٭ على عجز النساء ولا العذارى
ففي بطحاء مكة شرُّ قومٍ ٭ وليسوا بالحُماة ولا الغيـــارى .

٭

ان نشأت بنتك في نعمــةٍ ٭ فالزمنهــا البيت والمغزلا .

٭

اذا ما ابن ستينَ ضمَّ الكَعا ٭ بَ اليـــه ، فقد حلَّت البهله[1]

٭

وما الغواني الغوادي في ملاعبها ٭ الا خيالات وقتٍ اشبهت لعبا .

٭

ان صحَّ عقلك فالتفرد نعمةٌ ٭ ونوى الاوانس غاية الايناس!

---

١) البهلة : اللعنة . الكعاب : الفتاة الناهدة .

ابن السعادة

حياة عناء

حيـــاة عناءٌ وموتٌ عنـــا   فليتَ بعيـــدَ حِمام دنـــا
يدٌ صفرت ، ولهاةٌ ذوت   ونفس تمنّت ، وطرف رنا
يحاول من عـــاش سترَ القميـ   ـص وملءَ الخميص ، وبُرءَ الضنى
اعائبةٌ جسدي روحُـــه   ومـــا زال يخدم حتى وني
ولي مورد بـــاناء المنون   ولكنَّ ميقـــاته مـــا أنى .

اسر هواها

يسيء امرؤٌ منا فيُبغَض دائماً   ودنياك ما زالت تسيء وتومَق
اسر هواها الشيخُ والكهلُ والفتى   بجهلٍ ، فمن كل النواظر تُرمق
وماهي اهلٌ ان يؤهلَ مثلُها   لودٍ ، ولكنَّ ابن آدمَ احمق .

نادى حشا الام

نادى حشا الام بالطفل الذي اشتملت   عليه : ويحك ! لا تظهرْ ومتْ كمدا !
فان خرجتَ الى الدنيا لقيتَ اذىً   من الحوادث ، بله القيظَ والجمدا
وما تخلّصُ يوماً من مكارهها   وانت لا بدّ فيها بالغٌ أمـــدا

وربَّ مثلك وافاهـــا على صغرٍ حتى اسنَّ فلم يُحمَد وما حَمَدا
لا تأمنُ الكفُّ من ايامها شللاً ولا النواظرُ كفاً عنَّ او رمـــدا
فان ابيتَ قبول النصح معتدياً فاصنع جميلاً ، وراعِ الواحد الصمدا
فسوف تلقى بها الآمال واسعةً اذا اجزتَ مدًى منها رأيت مدى
وتركبُ اللجَّ تبغي ان تُفيد غنىً وتقطعُ الارض لا تُلفي بها ثَمَدا[1]
وان سعدتَ فما تنفكُّ في تعبٍ وان شقيتَ فمن للجسم لو همَدا
ثم المنايا فاما ان يقال مضى ذميمَ فعل ، واما كوكب خمدا .

لكنك الام

ما كان في هذه الدنيا بنو زمنٍ الا وعندي من اخبارهم طرفُ
يخبّر العقلُ ان القوم ما كرموا ولا افادوا ، ولا طابوا ، ولا عرَفوا
عاشوا قليلاً ، وماجوا في ضلالتهم ولا يفوزون ان جُوزوا بما اقترفوا
اذا شقيتَ فجسمٌ ناله نصبٌ ، وان ترفتَ فماذا ينفـــع الترفُ؟
يا امَّ دفرٍ لحـــاكِ الله والـــدةً منكِ الاضاعة والتفريط والسَّرَفُ
لو انك العِرس اوقعتُ الطلاق بها لكنكِ الامَّ ، هل لي عنك منصرَفُ؟

هنيءٌ

قضى الله ان الآدمي معذّبٌ الى ان يقول العالمون به: قضى
فهنِّ ولاة الميت يوم رحيله : اصابوا تراثاً ، واستراح الذي مضى .

---

١) الثمد : الماء القليل .

ما اطيب الموت

تقــواك زادٌ فاعتقــد انــه افضلُ ما اودعتَه في السِقاء[1]
آهِ غــدّاً من عرقٍ نازلٍ ومُهجــة مولعــة بارتقــاء
ثوبيَ محتــاجٌ الى غاسلٍ وليت قلبي مثلَــه في النقاء
موتٌ يسيرٌ معــه راحةٌ خير من اليسر وطول البقــاء
وقــد بلونا العيشَ اطــوارَه فمــا وجدنا فيــه غير الشقاء
تقدّم الناس ، فيا شوقنــا الى اتّباع الاهــل والاصدقاء
مــا اطيب الموت لشُرّابــه ان صحّ للاموات وشكُ التقاء

راحة الموت

لو لم تكن طرقُ هذا الموت موحشةً مخشيةً لاعتراها القومُ افواجــا
وكان من القتِ الدنيا عليه اذىً يؤمّها تاركاً للعيش امواجــا .
كأس المنية أولى بي واروح لي من ان اكابد إثراء وإحواجــا .

٥

يدلّ على فضل الممات ، وكونه اراحةَ جسمٍ ، ان مسلكه صعبُ
ألم ترَ ان المجد تلقــاك دونــه شدائدُ من امثالها وجب الرعبُ؟

---

١) السقاء : وعاء للماء واللبن ونحوهما .

اين الحق

اما اليقين !...

اقررت بالجهل

يُظَنّ بي اليسرُ والديانة والعلـ ـم وبيني وبينهـا حجبُ
اقررت بالجهل وادّعى فهمي قومٌ ، فامري وامرهم عجبُ .
والحقّ اني وانهم هدرٌ لست نجيباً ولا هم نجُبُ .

علي او كأني

وقد عُدم التيقنُ في زمان حصلنا من حجاه على التظني !
فقلنا للهزبر : أأنت ليثٌ ؟ فشكّ وقال : عليّ او كأني !

أبيات

وانما نحن في ضلالٍ وتعليلٍ فان كنتَ ذا يقينٍ فهاته .

٥

سألتموني فاعيتني اجابتكم من ادّعى أنه دارٍ فقد كذبا .

٥

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي .

٥

اما اليقين ، فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدسا.

٥

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة : ايّ المعاني باهل الارض مقصودُ؟

٥

الغيب مجهول يحار دليله واللبّ يأمر اهله ان يتقوا.

٥

رأيت الحقّ لؤلؤة توارت بلجّ من ضلال الناس جمّ.

٥

وللانسان ظاهرُ ما يراه وليس عليه ما تخفي الغيوب!

ما المصير ؟...

مصير الروح

والروح ارضيةٌ في رأي طائفةٍ وعند قوم ترقّى في السماوات
تمضي، على هيئة الشخص الذي سكنتْ فيه ، الى دار نُعمى او شقاوات
وقدرة الله حقٌ ليس يعجزها حشر الخلق ولا بعث لاموات.

هذيان

قد قيل ان الروح تأسف بعدما تنأى عن الجسد الذي غنيت بهِ
ان كان يصحبها الحجى فلعلّها تدري وتأبه للزمان وعتبهِ
او لا ، فكم هذيان قومٍ غابرٍ في الكتب ضاع مداده في كتبهِ.

فواشجبا

ان يصحب الروحَ عقلي بعدمظعنها للموتِ عني فاجدرْ ان ترى عجبا

وان مضت في الهواء الرحب هالكةً   هلاكَ جسمي في تربي فوا شجبا !

هباء

لو كان جسمك متروكاً بهيئته   بعد التلافِ ، طمعنا في تلافيهِ
كالدنّ عُطّل من راحٍ تكون به   ولم يُحطّم فعادت مرة فيـهِ
لكنه صار اجزاءً مقسمـــةً   ثم استمرّ هباء في سوافيـهِ .

أعيا المحل

لو هبَّ سكان التراب من الكرى   أعيا المحلّ على المقيم الساكنِ
لغدوا وقد ملأ البسيطةَ بعضُهم   ورأيتَ اكثرهم بغـير اماكنِ .

أخاف العقوبة

اذا كنتَ من فرط السفاه معطّلاً   فيا جاحدُ اشهدْ أنني غير جاحدِ
اخافُ من الله العقوبــة آجـلاً   وازعم ان الامر في يد واحدِ
فاني رأيتُ الملحدين تعــودهم   ندامتهم عند الاكفّ اللواحدِ .

دمعة التائب

اذكرْ الهك ان هببت من الكرى   واذا هممت لهجعــة ورقــادِ
احذرْ مجيئك في الحساب بزائفٍ   فالله ربُّك انقدُ النقّادَ
تغشى جهنمَ دمعةٌ من تائبٍ   فتبوخ وهي شديدة الايقــادِ .

خافي الهك

كفّي دموعك للتفرق ، واطلبي   دمعاً يباركَ مثل دمع الزاهد

فبقطرة منـــه تبوخ جهنم فيما يقال ، حديث غير مشاهد
خافي الملك واحذري من امــة لم يلبسوا في الدين ثوب مجاهـــد
اكلوا فناموا ثم غنّوا وانتشوا في رقصهم ، وتمتعوا بالشاهـــد .

افعل الخير

ودان اناسٌ بالجزاء وكونه وقال رجال : انمـــا انتمُ بقلُ !
فاوصيكمُ امـــا قبيحاً فجانبوا واما جميلاً من فعال فـــلا تقلوا
فاني وجدت النفس تبدي ندامة على ما جنته حين يحضرها النقل
وان صدئت ارواحنا في جسومنا فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل .

لا تناسخ

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذّبهـــا النقلُ
فلا تقبلنْ ما يخبرونك ضلّةً اذا لم يؤيد ما اتوك بـــه العقل .

الروح

والروح شيءٌ لطيف ليس يدركه عقلٌ ، ويسكن من جسم الفتى حَرجا
سبحان ربّك ، هل يبقى الرشادله وهل يُحسّ بما يلقى اذا خرجا؟
وذاك نورٌ لاجساد يحسّنها كما تبينتَ تحت الليلة السُرُجا
قالت معاشر : يبقى عند جثته وقال ناس : اذ لاقى الردى عرجا[1]

---

[1]) عرج : صعد الى السماء .

توخي جميلاً

توخّي جميلاً وافعليـه لحسنه ولا تحكمي ان المليك به يجزي
فذاك اليـه ان اراد فملكه عظيمٌ ، والا فالحِمام لنا مجزي .

أبيات

عليكَ بفعل الخير لو لم يكن له من الفضل الا حسنه في المسامع .

وهي الحياة فعفـة او فتنـة ثم المات فجنـة او نـار .

بيني وبين البعث طولُ البـلى ومن لهذي النفس ان تطفره ؟

اذا مـا اعظمي كانت هباءً فانّ الله لا يعييه جمعي .

لا حسً للجسم بعد الروح نعلمه فهل تحس اذا بانت عن الجسدِ ؟

والنفس تفنى بانفـاس مكررة وساطع النار تُخبي نورَه اللمع .

وجسمي شمعـة والنفس نار اذا حـان الردى خمدت بافِ !

ارى قبساً في الجسم يطفئه الردى وما دمت حياً فهو ذا يتلهب .

بين الجبر والحرية :

قل للغراب ...

حوتنا شرورٌ لا صلاح لمثلها فان شذَّ منا صالحٌ ، فهو نادرُ
وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ولكن بامرٍ سبّبته المقادر
وفي الأصل غشٌّ ، والفروع توابعٌ وكيف وفاءُ النجل ، والاب غادرُ ؟
فقل للغراب الجونِ ، ان كان سامعاً ، أأنت على تغيير لونك قادر ؟[1]

تردد

قالت معاشر : كلٌّ عاجزٌ ضرَع ما للخلائق لا بطءٌ ولا سرعُ[2]
مدبّرون فلا عتبٌ اذا خطئوا على المسيء ، ولا حمد اذا برعوا.
وقد وجدتُ لهذا القول في زمني شواهداً ، ونهاني دونها الورع .

أبيات

تروم تهذيب هذا الخلقِ من دنس والله ما شاء للاقوام تهذيبا .

٥

جئنا على كرهٍ ، ونرحل رغماً ولعلّنا ما بين ذلك نُجبرُ .

٥

لا تحمدنَّ ولا تذمنَّ امرءا فينا فغيرُ مقصّر كمقصرِ .

٥

---

١) الجون : الاسود .
٢) ضرع : ضعيف .

ماحُرِّكت قدمٌ ولا بُسطت يدٌ الا لهـا سببٌ من المقدار .

رضىً بقضاء ربك فهو حتمٌ ولا تُظهر لحادثــة وجوما .

وصاغني الله من ماء وها أنا ذا كالماء اجري بقدر كيف جُريتُ .

ما باختياريَ ميلادي ولا هرمي ولا حياتي ، فهل لي بعدُ تخييرُ ؟

ارى الخيرَ في عمري حسرةً لاني عن فعلــه عاجزُ .

وقيل نفوس المرء تسطيعُ فعلَها وقال رجالٌ بل تبيّن جبرُها .

ان كان من فعل الكبائر مجبرًا فعقابه ظلمٌ على مــا يفعلُ .

لا تعشْ مجبرًا ولا قــدرياً واجتهد في توسّطٍ بين بينــا .

وان سألوا عن مذهبي فهو خشيةٌ من الله ، لا طوقاً ابث ولا جبرا .

النجاة : عزلة وزهد

توحَّدْ وازهد !

انس الوحدة

اذا حضرت عندي الجماعة اوحشت   فما وحدتي الا صحيفة ايناسي
طهارة مثلي في التباعد عنكمُ   وقربكمُ يجني همومي وادناسي .

توحد

توحَّدْ فانَّ الله ربَّك واحدٌ   ولا ترغبنْ في عشرة الرؤساء
يقلّ الاذى والعيب في ساحة الفتى ،   وان هو أكدى ، قلةُ الجلساء
فافٍّ لعَصريهم ، نهارٍ وحندسٍ ،   وجنسَيْ رجال منهمُ ونساء .

هجر النساء

اشددْ يديك بما اقو   لُ ، فقول بعض الناس درٌّ
لا تدنونَّ من النسا   ء ، فان غبَّ الأرى مرّ
سلَّ الفؤاد عن الحيا   ةِ ، فانها شرٌّ وشُرّ[1]

---

١) الشر : المكروه .

قد نلتَ منها ما كفا كَ ، فما ظفرت بما يسرّ
وأرى النوائبَ لا تزا لُ كأنها سحب تدرّ
ان تنهزم خيلٌ لها فحذارِ من اخرى تكرّ
دهما توافينا السنو ن ، ولم يكن فيهنّ غرّ .

ضاع الود

طباع الورى فيها النفاق فأقصِهم وحيداً ، ولا تصحبْ خليلاً تنافقه
وما تحسن الايامُ أن ترزق الفتى ، وان كان ذا حظّ ، صديقاً يوافقه
يضاحك خلٌّ خلّه ، وضميره عبوس ، وضاع الود لولا مرافقه .

لا تقف بحيالي

عمي العين يتلوه عمى الدين والهدى فليلتيَ القصوى ثلاثُ ليالِ
وهوّن ارزاء الحوادث أنني وحيد اعانيها بغير عيالِ
فدعني واهوالاً امارس ضنكها واياك عني لا تقف بحيالي !

ثلاثة سجون

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيثِ[1]
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث .

عش بنفسك

كن صاحب الخير تنويه وتفعله مع الأنام على أن لا يدينوكا[2]
اذا طلبت نداهم صرت ضدّهم وان تُرد منهم عزّاً يهينوكا

---

١) النبيث : الشرير .
٢) دانه : جازى .

فعشْ بنفسك فالاخوان اكثرهم إلاّ يشينوك يوماً لا يزينوكـــا
وكم اعانك ناسٌ ما استعنت بهم اوِ استعنتَ بقـــوم لم يعينوكا

هذيان الامال

لقـــد علم اللهُ ربُّ الكمالِ بقلّـــة علمي وديني ومـــالي
وان التجمّل قـــد ضاق بي فكيف انـــافس اهـــلِ الجمال
هـــويت انفراديَ كيما يخفَّ عمن اعـــاشر ثقلُ احتمالي
آمـــالي فيما ارى راحـــةٌ مدى الـــدهر من هذيان الامال .

وحدة وزهد

انـــا للضرورة في الحياة مقارنٌ ما زلت اسبح في البحار الموّجِ
وضرورةٌ في شيمتين ، لانني مذ كنتُ لم احججْ ولم اتزوّجِ
من مذهبي ان لا اشدّ بفضةٍ قدحي ، ولاأصغي لشرب معوّجِ
لكن اقضّي مـــدتي بتقنع يغني ، وافرح باليسير الأروجِ
هـــذا ولست اودّ اني قـــائم بالملك ، في ثوبَيْ اغرَّ متوّجِ .

راحة الخمول

العين من أرقٍ ، والشخص من قلق والقلب من امل ، والنفس من حسدِ
ابتُهْ وسُدْ ، فهما همٌّ تكابده ! واخمُل . اذا شئتَ إن تحظى ولاتسدَ
واجبُنْ أو اشجعْ ، فطرق الموت واحدة والظبي فيهن مثل السيد والاسدِ .

غني وفقير

اغنى الانام تقيٌّ في ذرى جبل   يرضى القليل ويأبى الوشي والتاجا
وافقر الناس في دنياهمُ ملك   يضحي الى اللجب الجرّار محتاجا .

ابيات

وخمولي يــذود عني الرزايا   نام عنّي الأذى فلم ينتبهْ لي .

انهاك ان تليَ الحكومة او تُرى   خلف الخطابة او إمامَ المسجدِ .

عصا في يد الاعمى يروم بها الهدى   ابرّ له من كل خدن وصاحب !

ولا تفجعنّ الطير ...

تحريم الحيوان

غدوتُ مريضَ العقل والدين فالقَني   لتسمعَ أنباء الامور الصحائح
فلا تأكلنْ ما اخرج الماءُ ظالماً   ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح[1]
ولا بيضَ امّات ارادت صريحَه   لاطفالها ، دون الغواني الصرائح[2]
ولا تفجعنّ الطّير ، وهي غوافل ،   بما وضعت ، فالظلم شر القبائح
ودع ضربَ النحل الذي بكرت له   كواسبَ من ازهار نبتٍ فوائح[3]
فما احرزته كي يكونَ لغيرهــا   ولا جمعتــه للنــدى والمنائح

---

١) غريض : طري .
٢) الصرائح : الصافيات اللون ، الجميلات .
٣) ضرب : عسل ابيض .

مسحتُ يدي من كلّ هذا فليتني ابهتُ لشأني قبل شيب المسائح.[1]

ابك على طائر

وابكِ على طائر رماه فتىً لاهٍ فاوهى بفهره الكتفا[2]
او صادفته حبالةٌ نُصبتْ فظلّ فيها كأنما كُتِفا
بكّر يبغي المعاش مجتهداً فقُصَّ عند الشروق او نُتفا
كأنه في الحياة ما فرع[3] الغصنَ فغنّى عليه او هتفا.

لمن تكسبين ؟

قد غدت النحل الى نَورها ويحكِ، يا نحلُ، لمن تكسبينْ؟
يجيء مشتار بآلاته فيسلب الأريَ، ولا تلسبين[4]
أتحسبينَ الدهر ذا غفلةٍ هيهات، ما الامر كما تحسبينْ.

ابيات

لا اشرك الجدي في درّ يعيش به ولا اروع بناتِ الوحش والضانِ.

٭

لو حاورتك الضأنُ قال حصيفها الذئب يظلم وابن آدمَ أظلم.

٭

ايا ظبيةَ القاع، خافي الرماةَ، ولا يخدعنّكِ روضٌ يرفْ.

٭

تسريح كفيَ برغوثاً ظفرت به ابرُّ من درهمٍ تعطيه محتاجا.

٭

فاجعل حذائي خشباً، انني اريد ابقاءً على الدارشِ.[5]

---

١) المسائح : ذوائب الشعر.
٢) فهر : حجر.
٣) فرع : صعد وعلا.
٤) تلسبين : تلدغين.
٥) الدارش : الجلد الاسود.

البابلية

البابليّةُ بـابُ كل بليـةٍ فتوقينَّ هجوم ذاك البـابِ
جرّت ملاحاة الصديق وهجرهُ وأذى النديم وفرقـة الاحبـاب
هتكتْ حجابَ المحصنات وجشمت مُهنَ العبيـد تهضّمَ الأرباب
وتُوهمُ الشيبَ المَدالفَ أنهم لبسوا على كِبَرٍ برودَ شباب[1]
واذا تأملتَ الحوادثَ ألفيتْ صهبُ الدنانِ اعاديَ الألباب .

شادية كالغمام

أعوذ بالله من أولى سفـهٍ ان يعرفوا علـة الضـلال ترَحْ
يسقون راحـاً لهم معتقةً لو انهـا من قليبهم لنزح[2]
بينهم كالغـمام شاديـةٌ تومض في ملبس كقوس قزح
يجِدّ في وصلهـا ملاعبُها وهي لجلاسهـا تقول : مزح !

لا اشرب

لا اشرب الراح ولو ضمنت ذهـابَ لوعـاتي واحزاني
مخفّفـاً ميزان حِلمي بهـا كأني مـا خفَّ ميزاني .

ولولا

يقول النـاس ان الخمر تودي بما في الصدر من همّ قـديمِ

---

١) مدالف : جمع مدلف وهو الشيخ يمشي ببطء .
٢) قليب : بئر . نزح : نفد ماؤه .

ولولا انهـا بالعقـل تودي لكنت اخا المدامـة والنديم .

عدّ عن شارب كأسٍ اسكرت فهو مثل الكلب في الرجس ولغ .

والفقر أروح في الحياة من الغنى :

ترك المواهب

اجلُ هبات الدهر تركُ المواهبِ يمدُّ لما اعطاك راحةَ ناهبِ
وافضل من عيش الغنى عيش فاقة ومن زي ملكٍ رائق زيّ راهب
ولي مذهب في هجريَ الانس نافعٌ اذا القوم خاضوا في اختيار المذاهب .

لكل يو م رزقه

لا تخبأنْ لغد رزقاً وبعد غد فكل يوم يوافي رزقـه معه
واذخرْ جميلاً لأدنى القوت تدركه وللقيامة تعـرف ذاك اجمعـه
فرّق تلادك فيما شئت محتقراً فليس يذرف خلف النعش ادمعه
وافعلْ بغيرك مـا تهواه يفعلـه وأسمع الناس مـا تختار مسمعه
واكثرُ الانس مثل الذئب تصحبه اذا تبيّن منك الضعف اطمعه .

جناحي كسير

لا تعـذلاني فـالذي ابتغي من هـذه الدنيـا حقير يسيرْ
بتُّ اسيراً في يـدي برهة تسير بي وقتي اذ لا اسـير
كطائر قيـل الا تغتدي فقلت : انّى ، وجناحي كسير ؟

اخطأت الظنون

وقال الفارسونَ : حليفُ زهــد   واخطأتِ الظنون بمــا فرسنه
ولم أعرضْ عن اللــذات الاَّ لان خيارهــا عــني خنسنه .

قوتي غناي

القبر لا ريب منزول فما اربي   الى ارتقاء رفيع السمك مصعودِ
قوتي غناي ، وطمري ساتري ، وتقى   مولاي كنزي ، وورد الموت موعودي .

كلاب

اصاحِ هي الدنيا تشابه ميتــة   ونحن حواليهــا الكلاب النوابح
فمن ظلَّ منها آكلاً فهو خاسر   ومن عاد منها ساغباً فهو رابح .

اعفى الجماد

عزَّ الذي أعفى الجماد فما ترى   حجرًا يغصّ بمأكلٍ او يشرقُ
متعرياً في صيفه وشتائه   مــا ريع قطّ لملبسٍ يتحرّق .

ابيات

فبعدًا لنفسٍ لا تزال ذليلــة   لحب شراب او لحب طعام .

٥

اذا اعمل الفكرَ الفتى جعل الغنى   من المال فقرًا ، والسرور به حزنا .

٥

اقلُّ بني الدنيا هموماً وحسرة   فقيدُ غنىً للمال والرشد عادمُ .

سيان ...

عام ويوم

لقد اسفتُ، وماذا رد لي اسفي ، لما تفكرت في الايام والقدمِ
في العُدم كنا ، وحكم الله اوجدنا ثم اتفقنا على ثان من العدمِ
سيانِ عام ويوم في ذهابهما كأن ما دام ، ثم انبتَّ ، لم يدمِ .

لنفى الهموم

آليتُ لو رُزق العديمُ فطانةً لنفى الهموم وبات غير محسّر
ولئن يُعدَّ حمامةً خيرٌ له من ان يضاف الى ذوات المنسر .

أهاتفة الايك

اهاتفةَ الأيكِ ، خلّي الانامَ ولا تثلبيه ، ولا تمدحي
وان كنتِ شاديةً فاصمتي وان كنت باكية فاصدحي

ابيات

كأنَّ الشدو في الاعراس نوحٌ واصواتَ النوادب لهو عرس .

٥

واجنحة النسور اذا اتتها مناياها كاجنحة النمالِ .

٥

عملٌ كلا عمل ، ووقت فائت ويد اذا ملكت رمت ما تملكُ .

٥

اری الناس انفاسَ التراب فظاهر   الینا ، ومردود الى الارض راجعُ .

اذا كان الجمالُ الى انتســاخٍ   فحزناً جرّ موهوبُ الجمال .

فــلا يعجب بصورته جميــلٌ   فانَّ القبح يُطوى كالجمالِ !

وان هاجك الدهــر فاصبرْ له   وعشْ ذا وقــارٍ كأن لم تهَجْ .

من لي بجسمٍ لا يحسُّ رزيةً   لكن يُعدّ كتربة او جلمدْ!

فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات

•

ظهر منها :

١ — ابن الفارض	(طبعة ثالثة)
٢ — ابو العلاء المعرّي	(طبعة رابعة)
٣ — ابن خلدون	(طبعة ثالثة)
٤ — الغزالي	جزءان (طبعة ثالثة)
٥ — ابن طفيل	(طبعة ثالثة)
٦ — ابن رشد	جزءان (طبعة ثالثة)
٧ — اخوان الصفاء	(طبعة ثالثة)
٨ — الكندي	
٩ — الفارابي	جزءان (طبعة ثانية)
١٠— ابن سينا	جزءان

للمؤلف ايضاً :

اصول الفلسفة العربية	(طبعة ثانية)
طاغور : مسرح وشعر	

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبع هذا الكتاب في السابع والعشرين
من شهر نيسان سنة ١٩٦٨

٢-٨٤٠٢-٣-٢٧/ ٤/ ٦٨